الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية:العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية
قسم:العلوم الإنسانية

مذكرة بعنوان :

الحركة الإصلاحية في الدولة العثمانية خلال القرن 19م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ
تخصص:حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:
داوعلي خديجة

إشراف الأستاذ:
محمد حوتية

السنة الجامعية :1435/1434هـ
2014/ 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح ميزاولي بلة و لعبو عائشة أسكنهما الله الفردوس الأعلى، آمين.

إلى منبع الحنان والرحمة إلى القلب الرحيم والقدوة الحسنة أمي الحنون وإلى أبي أطال الله في عمره إلى أحضان المحبة والسعادة إخوتي وأخواتي و أخص بالذكر هاجر.

إلى أخوالي و خالاتي راجية من المولى دوام النجاح لهم.

إلى من ساعدني على فتح أبواب المستقبل أساتذة قسم التاريخ أدامهم الله ذخراً للعلم.

إلى من لا أنساهم و إن نسوني صديقاتي العزيزات رفيقات الدرب و عون على مشاق التعلم.

إلى كل من ساعدني على إتمام هذا البحث من قريب أو من بعيد و إلى كل من ساعدني يوما لأصل لهذه المرحلة ولم أقدر على رد جميله.

إلى من رغم ضيق الوقت، وكثرة الشغل لم يأل جهداً في نصحي وتوجيهي الأستاذ أحمد جلايلي.

إلى كل من لم يسعه قلمي ووسعه قلبي، أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وعرفان

يقول الله تعالى في محكم تنزيله:

[وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ]

ويقول رسول الله : { من لم يشكر الناس لم يشكر الله }

اللهم أعنا على شكرك على الوجه الذي ترضى به عنا.

ونتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذين المحترمين:محمد حوتيه، أحمد جلايلي

كما أشكر كل زملائي الذين ساعدوني

كما نتقدم بالشكر الخاص إلى كل من أسهم في إنجاز هذه المذكرة من أساتذة وزملاء ونتقدم بأسمـــــــى عبارات الشكر والعرفان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

" خديجة "

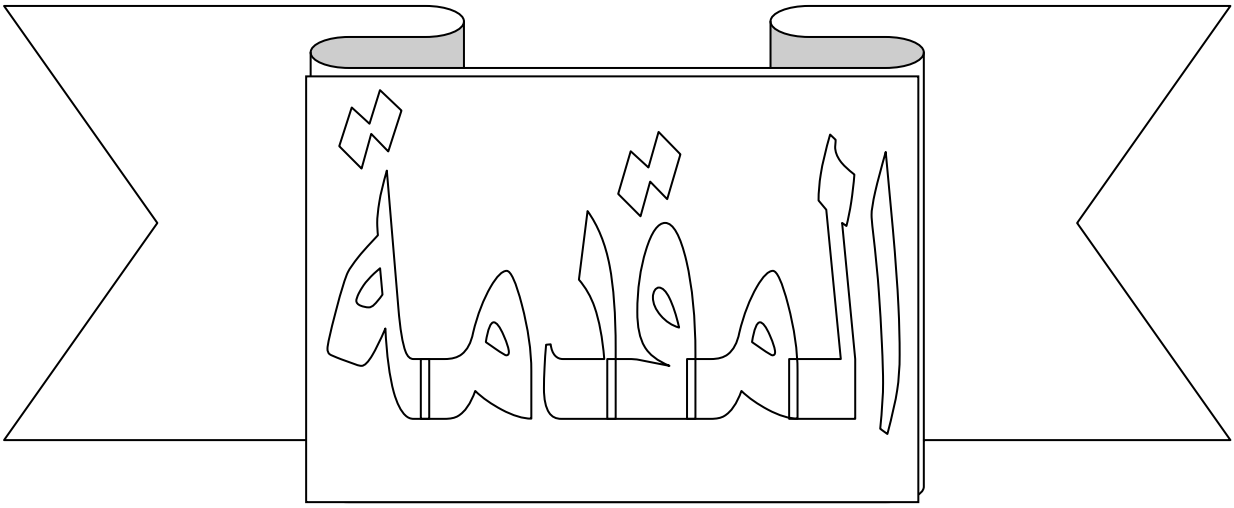
المقدمة

بعد فترة الإزدهار و القوة التي عاشتها الدولة العثمانية في ظل شساعة مساحتها و تمتعها بمركز الخلافة الإسلامية في نظر المسلمين ،و كذا حكمها لأقوام شتى من مرجعيات دينية و ثقافية مختلفة ساهمت في جعل العاصمة استانبول ذات طابع عمراني يعبر عن خلفيات عديدة ووقوع الطرق التجارية القديمة على أراضيها ولا ننس ى تحكمها في أهم المضائق ما جعلها موضع عداء دائم مع جيرانها المسيحيين لأسباب أو لأخرى.

لكن في فترة لاحقة تصدع هذا البنيان العظيم بعد توالي الهجمات عليه، فحاول الخلفاء السلاطين تدارك الأمر.

ومن أجل فهم أوضح لهذه الحركة الإصلاحية التي إن لم تنجح ستضيع وحدة العالم الإسلامي بعد قرون من التصدي للهجمات الصليبية؛ ومن هنا جاء الدافع لاختيار هذا الموضوع تحت عنوان " الحركة الإصلاحية في الدولة العثمانية إبان القرن التاسع عشر".

ومن الدوافع أيضاً : الرغبة في فهم الكيفية التي أدت إلى زوال حامية حمى العالم الإسلامي في مواجهة العالم المسيحي، هذا السقوط الذي ساهم فيه العرب عبر الرغبة في الإنفصال عن الخلافة العثمانية عن جهل أو انخداع بالوعود الكاذبة للأوروبيين ،وكذا الأتراك بإتباعهم السياسة الطورانية.إضافة إلى فهم كيف انخدع الأتراك بأوروبا وحضارتها على الرغم من اقتناع السلاطين بأن الإسلام دين متكامل. و كذا لأبين كيف أن الدول الأوروبية رفعت شعار مساعدة الدولة العثمانية على إصلاح نفسها بينما هي تعمل بالخفاء على تفكيكها و سلخ أجزاء منها بالطرق الفعلية أو القانونية، ولا ننسى دور الإمتيازات الخطير في الهيمنة على مقدرات العالم الإسلامي منذ دالك الوقت حتى وقتنا الراهن.

ومن الدوافع الأخرى أيضاً أن هذا الموضوع يتناسب مع تخصصنا الذي يهتم بالتاريخ الحديث و المعاصر.

وهذا ما أفرز لنا الإشكالية التالية و المتعلقة بسبب تأخر الإصلاح في الدولة العثمانية ؟ و كيف اقتنع السلاطين بأنهم يقودون سفينة آيلة للغرق؟ و قد تفرع عن هذا التساؤل تساؤلات فرعية مثل: ماهي مظاهر الإصلاح و من هم أهم الخلفاء المصلحين الذين برزوا في هذا المجال وما طبيعة الصعوبات التي اعترضتهم؟ ، ثم هل ساعدت الدول الأوروبية الدولة

العثمانية في الإصلاح عبر السماح لها بالإنتفاع بمحاسن الثورة الصناعية و الثورة الفرنسية أم سعت فقط لاستغلال الخيرات التي لم يحسن العثمانيون استغلالها رغم تواجدهم الطويل؟.

و عليه فإن طبيعة الموضوع جعلتنا نعتمد على المنهج الوصفي ، وذلك لتقصي للوقائع تبياناً للأحداث التاريخية التي صاحبت هذه العملية المهمة التي حاول من خلالها السلاطين الخلفاء رأب الصدع الذي اتسع و أصبح يهدد دولة الخلافة الزوال.

وفي محاولة للإجابة عن التساؤلات السالفة الذكر، تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول و خاتمة ، و حيث جاء الفصل الأول ليشرح الإصلاح بشقيه اللغوي و الإصطلاحي. ثم جرت محاولة تبيان أهم مظاهر الإصلاح على المستوى الإداري و التعليمي و كذا على مستوى العاصمة العثمانية و بعض الولايات كذلك ، و لم أنسى التطرق إلى أهم الخلفاء المصلحين.

أما الفصل الثاني فتطرقت فيه إلى أهم الحركات الإصلاحية التي قامت من أجل هز ركود العالم الإسلامي و محاولة التجديد الديني و مقاومة الإنحرافات التي اختلطت بالدين مثل الحركة السلفية الوهابية و التي حاولت توحيد صف المسلمين في مواجهة الغرب كالجامعة الإسلامية هذا على صعيد المشرق العربي ،أما على صعيد المغرب العربي فهناك كل من الحركة السنوسية و الحركة المهدية اللتان تحملتا عبء التصدي للغزو الأجنبي.

أما في الفصل الثالث فبينت موقف الدول الإستعمارية من الإصلاح و كيف أنها بكثرة الحروب و التسويات استولت على كثير من الأراضي و شغلت الدولة العثمانية عن التفرغ للإصلاح.

و قد اعتمدت في هذه الدراسة على جملة من المؤلفات كخليل اينالجيك في " تاريخ الدولة العثمانية " و يلماز أوزتونا في " تاريخ الدولة العثمانية "، وإلبر أورطايلي في " التحديث و الحداثة في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر " .

أما فيما يخص المراجع فاعتمدت على سهيل طقوش في كتابه "تاريخ العثمانيين منذ قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة "، محمد عي الصلابي في " تاريخ الدولة العثمانية " وكتابه " الثمار الزكية للحركة السنوسية بليبيا "، و هناك موفق بني المرجة في كتابه "صحوة الرجل المريض "، وهناك دراسات متخصصة مثل " التنظيمات العثمانية و آثارها على الولايات العربية " لغانية بعيو.

كما نسجل العديد من الصعوبات التي واجهتني أثناء الدراسة من بينها:

- ضيق الوقت الذي لم يمكنني من دراسة الموضوع كما يجب رغم توفر المادة العلمية.
- تعرض التاريخ العثماني للتشويه من طرف الكتابات الأجنبية و كذا أن بعض المؤلفات ذات طابع أدبي لا يخدم كثيراً الباحث رغم معاصرة المؤلف للفترة الزمنية المنشودة.
- رغم ذلك حاولت قدر المستطاع توضيح بعض الغموض حول عدم صحة تخلي الدولة العثمانية عن إيالاتها لصالح الإستعمار .

عندما طالب قيصر روسيا في القرن 19 م بحل المسألة الشرقية أي تقسيمها كونها أصبحت رجل أوربا المريض, عارضتها في ذالك كل من بريطانيا و فرنسا, إذا كان القضاء عليها يؤدي برأي هاتين الدولتين إلى اندلاع حرب أوربية حول ممتلكاتها. وإلى خسارتهما سوق تجارية هامة . من هنا فضلت فرنسا و بريطانيا الضغط عليها من أجل القيام بإصلاحات داخلية والتحديث عبر اقتباساتها عن الغرب, لعل ذالك يعطيها جرعة من الحياة تبقي عليها سوقا تبعية مفتوحة , و من جهتها رأت هذه الأخيرة أن الإصلاح قد يخفف عنها الضغط الخارجي [1]

توجت الدولة العثمانية خطوات العلمنة بإصدارها الدستور العثماني 1876 م المستوحى من الدساتير الغربية عبر قبول الباب العالي بإلغاء مؤسسات إسلامية بصيادي التعليم و القضاء والجيش والتجارة...الخ.

و سرعان ما لحقت بها إيالاتُها كتونس عبر إصدار عهد الأمان[2]

[1] _عبد الرؤوف سنو،عميد كلية التربية بالجامعة اللبنانية: الإصلاحات العثمانية والإصلاحات الأمريكية: مقاربة سياسية ثقافية ـجريدة النهار 19\07\2004. ص01.

[2] نفسه.

المبحث الأول : الإصلاح و أسبابه :

تعريف الإصلاح:

لغة: من فعل أصلح, يصلح, إصلاحا أي إزالة الفساد بين القوم و التوفيق بينهم. فهو الانتقال أو التغير من حال إلى حال أحسن ; أو التحول عن شيء و الانصراف عنه إلى سواه. أو استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة .[1]

و قد ورد لفظ الإصلاح في القرآن الكريم أكثر من مرة كقوله تعالى مخاطبا فرعون:

﴿الآن وَ قَدْ عَصَيْتَ مِنْ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾.[2]

أما اصطلاحاً: فيعرفه قاموس وبستر للمصطلحات السياسية(1988):|" على أنه تحسين النظام السياسي من أجل إزالة الفساد و الإستبداد". و يعتبر الإصلاح السياسي ركناً أساسياً مرسخاً للحكم الصالح و هو تجديد للحياة السياسية و تصحيح لمساراتها، و لصيغها الدستورية و القانونية بما يتضمن توافقاً عاماً للدستور و سيادة القانون وفصل للسلطات و تحديد للعلاقات فيما بينها.[3]

وعرفته الموسوعة السياسية بأنه:" تعديل أو تطوير غير جذري في شكل الحكم أو العلاقات الإجتماعية دون المساس بأسسها".[4]

أسباب الإصلاح:

مع مطلع القرن التاسع عشر تغير المجتمع وأصبح التركيز على حياة الفرد ضرورياً و أصبحت الحركة الإصلاحية شيئاً لا مفر منه ،لكن يمكن إجمال بعض الأسباب التي ساهمت في دفع عجلة هذه الحركة:

- ❖ أصيب جسم الدولة العثمانية بالوهن و لاحقتها الهزائم العسكرية في حروبها المتكررة ضد الدول الأوروبية ، انبرت القوى المختلفة في الولايات التي ترك لبعضها حرية التصرف الذاتي أكانت ولاة أو قوى إقطاعية أو جيش انكشاري مما أدخل الدولة في دوامة من الصراعات انعكست نتائجه قهراً واستبداداً على الأهالي.

---

[1] قاموس (عربي _ عربي) ط1، منشورات المرشد الجزائرية ، الجزائر ، 2005م ، ص 40.
[2] القرآن الكريم برواية ورش عن نافع ، سورة يونس ، الآية 91.
[3] والتر وبستر ، قاموس المصطلحات السياسية ، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع ،[د،ت] ، ص 566.
[4] عبد الوهاب الكيالي،موسوعة السياسة،مج1،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت،[د،ت]،ص210.

- اضطلاع العثمانيون على تفوق الغرب العلمي والإقتصادي و العسكري بعد عصر النهضة و حركة الكشوفات الجغرافية ، بواسطة الإحتكاك بهم عن طريق التجارة و البعثات الدبلوماسية الأوروبية المقيمة باستانبول و الوفود العثمانية التي كانت ترسل إلى أوربا. و أيضاً بواسطة اللاجئين من الغرب الأوروبي النازحين للخلافة أعقاب فشل الثورات القومية بشرقي أوروبا.
- راحت القوى المتنافسة تنهب و تستغل الموارد الإقتصادية للولايات و لم تكتف هذه القوى بذلك بل استعانت و تحالفت في كثير من الأحيان بالقوى الأوروبيين لمساعدتها و دعمها مادياً و معنوياً مقابل امتيازات عدة تمنحها هذه القوى للدول الخارجية في أراضيالخلافة. [1]
- وهناك الصراع الحاصل بين الولاة و الحكام المحليين ضد الدولة العثمانية من جهة و حاميات الإنكشارية القديمة و الحديثة (القابي قول) التي كانت الدولة العثمانية لتدعيم سلطة الوالي من جهة أخرى ، و بين البدو و الحضر(أصحاب العصبيات) من جهة ثالثة.
- كما كانت المشاكل و الفوضى التي سببتها الإنكشارية ، فقد كانت نفقاتها تتزايد و نفوذها يتسع مقابل أن قدراتها العسكرية تتقلص و تضعف، إضافة إلى المصادمات المسلحة بين الإنكشارية و السباهية في شوارع استانبول و الولايات الأخرى تزيد متاعب الناس. [2]
- و خلال الفترة ما بين 1566و1718 ثلاثة عشر سلطاناً ضعيفاً غير قادر على إدارة الدولة بسبب العزلة المدمرة التي فرضها قانون وراثة العرش عليهم ،فكانوا يفتقرون إلى الدراية لاحتياجات الدولة. لكن ظهرت كفاءة بعض الصدور العظام أمثال محمد كوبرولو بعهد محمد الرابع (1648-1687)، فبفضل سياسته الشديدة و الدموية في الضرب على أيدي المتهاونين والمتخاذلين تمكن من إعادة النظام الجيش و الأمن للبلاد و النزاهة لأجهزة الدولة . [3]
- أما الإقتصاد فقد اتصف باقتصاد الكفاف، كما أن اهمال الممرات البرية أي الطرق زاد الوضع سوءاً فتأخر الإنتاج الزراعي لاستخدام الفلاحين الأساليب القديمة في الزراعة، كما هجر قسم كبير مزارعهم لسوء نظام الإلتزام في جمع الضرائب.

[1] محمد أنيس ، الدولة العثمانية و المشرق العربي (1904-1914) ، [د،ت] ،القاهرة ، ص212.
[2] نفس الرجع ، ص 213.
[3] سيار الجميل ، تكوين العرب الحديث ، دار الشروق للنشر، الأردن ، 1998م ، ص 111 .

وظلت الصناعة بدائية تعتمد على العمل اليدوي و العمل بنظام الطوائف الحرفية ،و بسبب زيادة الضرائب المفروضة عليها تدهورت.

❖ أما الحياة الفكرية فكانت مهملة و اقتصر التعليم على الكتاتيب التي تعلم القرآن و بعض مبادئ القراءة و الكتابة و الحساب. كما انتشرت الطرق الصوفية و انحط التصوف من فلسفة إلى دَروَشة، فظهر بعض الحركات الإصلاحية الإسلامية لإعادة الإسلام لمصدره من الكتاب و السنة و لنقائه الأول.

❖ أما على المستوى الخارجي فأهم سبب الكشوفات الأوروبية وما جلبته من نتائج خطيرة هددت الإقتصاد العثماني فقد جعل المنطقة البحرية المتوسطة عديمة الأهمية و معاناة الدولة من نقص في المعادن النفيسة سرعان ما تدفقت سريعاً من العالم الجديد مخلّفة آثار اقتصادية سيئة زادت الأوضاع الداخلية تفاقماً. [1]

وكخلاصة لما سبق كانت أسباب الإصلاح وجيهة على الرغم من أن الخلافة تأخرت كثيرا في هذا الميدان ، فالنزعة العسكرية التي طبعت الحكم التركي و عدم تدخله في تغيير الأنماط الحضارية للشعوب التي قادها لقرون حرمت العالم الإسلامي من أي احتكاك بالحراك الأوروبي الذي نفض عن تلك الدول غشاوة عهود الظلام و الإستبداد، لكن مع ذلك لا يختلف اثنان على أن العالم الإسلامي قد عاش فترة استقرار في ظل سلطة سياسية موحدة و محمي الحدود من أي اعتداء حتى مراحل متأخرة من حياة الدولة العثمانية. [2]

المبحث الثاني: مظاهر الإصلاح :

حاول بعض السلاطين انقاذ الدولة العثمانية من الضعف الذي دب فيها فبدأت حركات الإصلاح و التجديد في أواسط القرن الثالث عشر، إلا أنها صادفت سلسلة طويلة من الصعوبات و العراقيل و كذلك لم تدخل في طور التأثير المستمر إلا في أواسط القرن التاسع عشر. و كان من الطبيعي أن يتجه الإصلاح العثماني أول لأمر نحو الجيش فالحكم العثماني في طبيعته حكم عسكري، و يضاف إلى ذلك الهزائم المتكررة التي منيت بها الدولة العثمانية خلال القرن الثامن عشر كانت تتطلب الإسراع بإصلاح الجيش قبل غيره من الإدارات بالدولة. [3]

[1] محمد عبد الله عودة، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر و التوزيع، الأردن، 1989م، ص 38.
[2] الغالي غربي ، مرجع سابق، ص ،ص 66-72.
[3] محمد أنيس ، مرجع سابق ، ص 212.

في الفترة من 1808 حتى 1839 كانت فترة إصلاحات متواصلة عرفت باسم التنظيمات العثمانية و الغرض من ذلك هو إيجاد جيش جديد و خلق هيكل جديد من الإدارة و القوانين المدنية المركزية، كان العثمانيون يطمحون من ورائهم لإيقاف التفكك و الضعف و الإنحلال بجسم دولتهم مما يمنحها الفرصة لتقوية و استمرار بقائها. [1]

في الإدارة:

خط شريف كولخانة (كلخانة ـ كولهانة) 1839م:

الذي يعتبر فاتحة العهد الجديد وقد أعلنه أبو التنظيمات الصدر الأعظم رشيد باشا في الثالث من تشرين الثاني/ نوفمبر 1839م، وقد وعد فيه السلطان عبد المجيد (1839-1861) أن لا يمس من لأن فصاعداً أمن و شرف رعاياها و أموالهم و بأن يكون هناك إلتزام كامل بالقوانين الشرعية في مجال القضاء.

فلا يجوز بعد الآن إعدام أحد ولا حتى في الخفاء ولا بطريق التسميم قبل أن يصدر الحكم و أن تنظر دعاوي أصحاب الجرائم علناً..... وأن جباية الأموال و توزيعها تكون بمقتضى أحكام الشرع و تلغى أصول الإلتزام[2] التي هي من آلات الخراب. [3]

و قد تضمن القانون البنود التالية :

1- يمنح السلطان رعيته أمنية الروح العِرض و الناموس و المال.

2- وعد السلطان بإصلاح الإدارة و القضاء ووقف التجاوزات من الولاة الذين يقتلون باسمه.

3- إجراء القرعة العسكرية الشرعية دون خلل في منافع الزراعة و التجارة.

4- جباية الأموال و توزيعها بمقتضى الأحكام الشرعية.

5- القضاء على الرشوة و الفساد في أجهزة الدولة التي سادها الخلل نتيجة قلة الرواتب أو انعدامها.

---

[1] هشام سوادي هاشم ، تاريخ العرب الحديث(1516-1918)، دار الفكر، عمان، 2009م، ص 87.

[2] الإلتزام : هو تقديم مصادر الدخل الحكومي للمتعهدين مقابل مبالغ مالية مقطوعة بحيث يدفعها المتعهد (الملتزم) مقدماً للدولة ثم يحصّلها أضعافا مضاعفة من المجتمع بالإستناد إلى قوات حكومية وقد بدأ العمل بهذا القانون منذ القرن 17م و له تأثير سيء على المجتمع لكن الدولة استفادت من حصولها على أموال دخلها مقدماً، انظر : (سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض ، 2000م، ص 35.

[3] غانية بعيو، التنظيمات العثمانية و آثارها على الولايات العثمانية، رسالة ماجستير ، تخصص التاريخ الحديث، غير منشورة، بإشراف الدكتور: الغالي غربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإسلامية و العلوم الإجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص 99-100.

6- استمرار الإصلاح بإصدار القوانين و النظم و احترامها و العمل بها.

7- تنازل السلطان عن بعض سلطاته لمجلس الأحكام العدلية الذي يكلف وحده بسن القوانين و ترفع السلطان للمصادقة عليه.

8- تعميم مرسوم كلخانة على جميع الولايات للعمل به رسمياً.

9- إبلاغ سفراء الدول الأجنبية رسمياً للاطلاع على الإجراءات الإصلاحية العثمانية .

10- تنظيم التجنيد و تحديد فترة الخدمة العسكرية للمجندين الإجباريين.

11- المساواة بين المسلمين و غيرهم من رعايا الدولة لمنع الدول الأوروبية من التدخل في شؤون الدولة العثمانية بحجة حماية الأقليات الدينية.

فمن خلال البنود السابقة [1] اعترفت الدولة العثمانية لأول مرة بأن النظم الحضارية التي سارت عليها لم تعد صالحة و لابد لها من مواكبة التطور. لكن هذا المنشور لم يكن دستوراً و إنما أملته ظروف طارئة على الدولة و على رأسها كسب ود الدول الأوروبية للوقوف لجانب السلطان ضد التهديد المصري إذ لاحقاً أهمل السلطان هذا المنشور لستة عشر سنة فتذكر المصادر أنه لم يتحقق منه سوى قانون التجارة 1850و قانون الجزاء 1851.[2]

خط الشريف الهمايون (همايوني)1856:

صدر هذا الخط بعد انتصار الدولة العثمانية مع فرنسا و بريطانيا على روسيا في حرب القرم عام 1856م.[3] و اتخذ الباب العالي هذا القانون لكسب رعاياه، ففي هذا القانون اهتم بصفة خاصة على مبدأ المساواة القانونية و المدنية لكافة الرعايا و حقهم في خدمة الخلافة. و أكثر ما ورد فيه يختص بامتيازات الطوائف الغير المسلمة و مصالحها، وقد ظهر حرص الدولة العثمانية على توفير الأمن للرعايا في القدس مثلاً بسبب النزاعات الكثيرة بين الروم الأرثوذكس و الإفرنج الكاثوليك حول كنيسة القيامة ، فتدخلت السلطنة لفض النزاعات بينهما و حرصت على ديمومة العلاقة الحسنة بين المسلمين و النصارى و أصدرت فرامانات لمنع الإعتداء بين الطرفين منذ

[1] أنظر غانية بعيو، مرجع سابق، ص96.

[2] الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي(1288-1916)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2011م، ص153.

[3] مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي : العصر العثماني، دار أسامة ، الأردن ،2009،،ص253.

1808م،[1] و أصدر السلطان محمود الثاني (1808-1839)فرماناً يلزم الطائفتين النصرانيتين بحقوقهما الدينية بالكنيسة و هذا بواسطة فرنسية نظراً لأنها ترعى حقوق الكاثوليك بالدولة و تريد الإستئثار بالأماكن المقدسة على حساب باقي الطوائف فوجب إبقاء ما كان على حاله بالقدس.

كما أكدت في الوقت نفسه على منع بناء أو تعمير أي مكان دون إذن منها. كذلك نص هذا القانون على تشكيل مجالس لغرض إعادة النظر في تنظيمات هذه الطوائف بغية إصلاحها بالشكل الذي يحقق لها الحرية الكافية في ممارسة شعائرها و بناء كنائسها و معابدها و أنه سيمنع أي تحيز قائم على أساس اللغة و المذهب و الجنس. [2]

ونص الخط على تخصيص رواتب لرجال الدين غير المسلمين و التكفل بمنح كل طائفة حرية إنشاء المدارس بشروط كاتفاقها في المنهج مع مدارس الدولة و تكون طرق التدريس و اختيار المدرسين تحت إشراف مجلس المعارف كذلك نص على أن تكون الدعاوي في القضايا المدنية و الجنائية التي تقع بين المسلمين و سائر الطوائف الغير مسلمة تنظر من قبل محاكم مختلطة. أما الدعاوي الخاصة بالأموال الشخصية والإرث فتحال للمحاكم الشرعية بالنسبة لغير المسلمين. ووعد بالسماح للأجانب بالتملك بالدولة العثمانية بعد الاتفاق الذي سيبرم مع الدول الأجنبية.[3]

وفي الميدان الإقتصادي تعهد السلطان محمود الثاني [4] حسبما جاء في الخط بإنهاء استغلال الفلاحين على يد متعهدي الضرائب واستبدال نظام الضرائب بالجباية المباشرة و ملائمة الضرائب مع احتياجات الإنتاج و التجارة، و مساعدة الدولة على تطوير المعارف و غيرها من مؤسسات الإئتمان. [5]

مشاكل تطبيق الخطين:

---

[1] فاطمة سليم حماد الطراونة، الدولة العثمانية و سياستها الدينية تجاه الطوائف النصرانية في القدس و موقف فرنسا منها بخاصة من واقع سجلات محكمة القدس الشرعية (1740-1830)،كلية الآداب و العلوم ،جامعة البترا، الأردن، 2009م، ص 07.

[2] نفس المرجع ، ص13.

[3] هشام سوادي هاشم، مرجع سابق، ص 88.

[4] السلطان محمود الثاني(1808-1839)تولى الحكم و عمره أربعة و عشرون سنة استفاد من الإقامة الجبرية مع السلطان سليم الثالث ليطلع على خطط الإصلاح لكن لم ينفذها بعد توليه الحكم مباشرة بل حتى قضى على الإنكشارية سنة 1826م و هو أول من فرض الزي الأوروبي من أجل رجال الدولة. انظر(علي محمد الصلابي، مرجع سابق،ص339.)

[5] هشام سوادي هاشم، نفس المرجع، ص 60.

1. لم تأخذ مبادئ خطي شريف كلخانة و همايون طريقهما إلى التطبيق العملي إلاّ ببطء شديد. و يمكن أن يعزى السبب في ذلك إلى عدم توفر الظروف الموضوعية التي تمكن من فاعليتها و التي ترتبط أساساً بأجهزة الحكم و الإدارة حيث افتقدت للكفاءة و النزاهة بدرجة كبيرة، فقد كان من الصعب التأقلم مع التنظيمات الجديدة اصطدمت بمقاومة من قبل المعارضين لها مبدئياً ومن طرف الذين رأوا فيها خطراً على نفوذهم السياسي و الإجتماعي .[1]

2. لم يتمكن بيروقراطيي التنظيمات من تنظيم فئة الماليين بالشكل المطلوب يعود لسببين:

أ) لم بالإمكان تحديد الموارد المالية أي تأسيس رقابة مالية مؤثرة، و نظام تسجيل دقيق، وفي هذه الحال فإن التنظيم المالي الكلاسيكي للإمبراطورية لم يستطع استكمال تحديثها بالتوازي مع سرعة تحديث الجيش و الخارجية و الداخلية.

ب) كان موظفو المالية المجموعة الأكثر تقوقعاً على الذات و الأكثر تنظيماً منذ بداية تنظيم الدولة العثمانية، لقد كانت تقنيات كتاباتهم و سجلاتهم أكثر إبهاما عن تلك التي في الفروع الأخرى للبيروقراطية كاستخدام الكتابة المتداخلة، ومن أجل تدريب موظف في الدفتردار ثمة حاجة لزمن أطول و موهبة أكبر فهم أعضاء يصعب ملء أمكنتهم.[2]

أما بعد التنظيمات[3] كانت تنشئة موظفي المالية يعود في قسم منه لتعليمهم في أوروبة و في قسم الآخر منه للمصارف الأجنبية التي بدأت تمد يدها داخل الدولة ، وعلى الأكثر بفضل مؤسسة الديون العامة[4] التي بدأت تراقب مالية الدولة العثمانية بتقنيات جديدة بعد عام 1880م. ولم تتحقق الإصلاحات المالية المقترحة في الفرمانات بسبب استمرار البنية القديمة بنسبة كبيرة و يعتبر عدم التمكن من إزالة نظام الإلتزام مؤشر على فشل رجال التنظيمات بتأسيس بنية مالية ناجحة. أن كبير الدفترداري (المحاسبين) يحمل وزير المالية وهو رئيس مكتب يعرف الدخل المنقول إلى الحكومة المركزية و النفقات التي تنفقها هذه الحكومة فقط و لم يعرف مقدار الضرائب

---

[1] مفيد الزيدي،مرجع سابق ،ص 256.

[2] البر اورطايلي، مرجع سابق، ص132.

[3] التنظيمات: هي حركة تجديدية إدارية و سياسية كانت ترمي إلى التقريب بين المجتمع العثماني و المجتمعات الغربية، انظر(سهيل صابان، مرجع سابق، ص 75.)

[4] مؤسسة الدين العام أو الديون العمومية: هي المصطلح العربي الذي أطلق على ديون الدولة العثمانية الداخلية و الخارجية ، وقد شكلت إدارة لتخفيفها منذ سنة 1880م من طرف الدول الأجنبية ومنه تمكنت من التدخل بكثير من الشؤون الداخلية للدولة . انظر(سهيل صابان، مرجع سابق، ص 117.).

المفروضة و الرسوم المحصلة و النفقات المدفوعة في أنحاء الدولة، إلاّ في 1879بتأسيس ديوان المحاسبة. [1]

ولم تكن هناك ميزانية متوازنة و منظمة في الإمبراطورية العثمانية حتى عام 1863. ودخلت تقنيات المحاسبة الجدية في المالية العثمانية مع الأسف تحت تأثير مؤسسة أجنبية هي مؤسسة الديون العامة. ومنه بقي الإلتزام النظام الأنسب بسبب نظام اقتصادي غير منفتح على السوق و إنتاج ريفي و صناعات صغيرة يصعب مراقبتها، و مالية مؤلفة من موظفين غير مؤهلين.

قوانين إصلاحية مكملة:

أعقب صدور الخطين الإصلاحيين (كلخانة ـ همايون)صدور عدة قوانين أرادت الدولة من خلال إصدارها تثبيت أسس جديدة للنظام الإصلاحي و منها: قانون الأراضي 1858م و قانون الولايات 1864م و الطابو 1859م.

صدر **قانون الأراضي** في 21نيسان/أبريل1858م[2] وكانت الغاية عند وضعه ليكون أساس ثابت في مسألة التصرف بالأراضي بأرجاء الدولة ، فمن المعروف أن نظام الإقطاع في الدولة العثمانية بقي على حاله حتى أوائل القرن التاسع عشر.

وعندما كثر استبداد الإقطاعيين بالأراضي و امتنعوا عن تقديم الأموال المترتبة عليهم، فضلاً عن انتقال الكثير من أراضي الإقطاعات مع مرور الوقت إلى التملك الشخصي، لذلك لجأ السلطان سليم الثالث إلى وقف الإقطاعات المنحلة التي توفي أصحابها أو انتهاء مدة إقطاعهم لها و إدخال إيرادها في الأوقاف العامة لإصلاح الجيش الجديد الذي بدأ بإنشائه آنذاك و قد كان لهذا الإجراء الأثر الكبير في إلغاء النظام الإقطاعي في الدولة العثمانية. [3]

---

[1] البر أورطا يلي، مرجع سابق ، ص134.

[2] السلطان عبد المجيد (1839- 1861) تولى الحكم بعد وفاة والده السلطان محمود الثاني و عمره لا يتجاوز السادسة عشر ،و لذلك قام الصدر الأعظم رشيد باشا بإنهاء ما بدأه السلطان الراحل في مجال التحديث بدءاً من مرسوم خط كلخانة، و في عهد هذا السلطان كثرت الإضطرابات الداخلية مثل الصراع مع والي مصر محمد علي الذي و لولا تدخل بريطانيا لجانب الدولة العثمانية لانفصل عن الأخيرة،وتم عزله بعد تفاقم الرفض الشعبي للحركة التغريبية التي فتحت الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي بكل المجالات سنة 1861م، انظر (علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط ،دار التوزيع و النشر الإسلامية ، بور سعيد ، ص1، 2001، ص 374.)

[3] سيار كوكب علي الجميل ،تكوين العرب الحديث (1516- 1916) ، [د،ت] ، الموصل ،1991 ، ص ص، 343،344.

وقد فصل ما بين أصحاب التملك و الحكومة من حيث الحيازات و الحقوق و جاء مستمداً من الشريعة الإسلامية و الأعراف و التقاليد و الشرائع المدنية الأوروبية مثل الفرنسية و الإنجليزية و الألمانية.و قد حدد القانون أنواع الأراضي و قسمها إلى خمسة أنواع :

الأراضي المملوكة وهي المحلات الحاصل التصرف بها على أساس التملك.

و الأراضي الميرية و هي أراضي الدولة و الأراضي الموقوفة و المتروكة و الموات .

أما المادة الثانية فقد حددت أنواع الأراضي المملوكة كالعرصات داخل القرى و القصبات و الأراضي العشرية.[1]

أما المادة الثالثة أكدت على طبيعة الأراضي الميرية و التي هي عائدة لبيت المال من المزارع و المراعي و غيرها.

أما المادة الرابعة: فأراضي الوقف و هي أراضي مفرزة من الأراضي الميرية التي أوقفها السلاطين أو آخرون بإذن سلطاني.

و الأراضي المتروكة في المادة الخامسة فلعموم الناس كالطريق العام و تبقى رقبة هذه الأراضي لبيت المال.

أما المادة السادسة فأراضي الموات وهي غير خاضعة لتصرف أحد و بعيدة عن المساكن و العمران، و تفوض هذه الأراضي من أحياها دون مقابل مع إبقاء رقبتها لبيت المال

أما المادة السابعة فلتسجيل الأراضي في دائرة الدفترخاقانيو تناولت المادة مواد أخرى متنوعة تخص الأرض و حقوقها.[2]

قانون الطابو[3]: فكان القصد منه تسوية الحقوق المتعلقة كالأراضي الأميرية على أسس صحيحة أفضل من السابق و قد صدر هذا القانون في 23يناير/كانون الثاني1859م. و تضمن 33مادة وأنشأ نظاماً قانونياً للحج و العقود و المخصصة للأراضي و حيازة تفويضها، و أوردت في الدفتر خاقاني من خلال السندات.

فلائحة التعليمات في هذا القانون فأكدت على تسجيل الأراضي و الحصول على السندات و عدم جواز التصرف بالأراضي دون ذلك، و أن يتوج السند بالطغري أي الختم السلطاني العثماني.

---

[1] غانية بعيو، مرجع سابق، ص 117.

[2] نفسه.

[3] مفيد الزيدي، مرجع سابق، ص 257.

و حددت أيضاً باللائحة قيمة الأراضي و ما عليها. و هكذا وضع قانون الطابو عملية تفويض الأراضي و العلاقة بين الأراضي و المقطع إليه في ظل علاقة قانونية ثابتة و متوازنة.

قانون الولايات: فقد شرع سنة 1864م ليضع حداً للإدارة الإقطاعية القديمة و يربط الأقاليم بالسلطة المركزية ، و يحدد صلاحية الولاة المتصرفين و اقتبست الكثير من أحكامه من التنظيم الإداري الفرنسي. و يقول المؤرخ عبد العزيز نوار: " أنه المحاولات العملية لإصلاح حال الولايات العثمانية من جميع النواحي السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و تأكيد خضوعها للدولة."[1]

وقد نص القانون على إنشاء مجالس محلية لتعاون المسؤولين في الحكم فكانت الولاية تدار بمجموعة من الموظفين إلى جانبهم عدد من الأعضاء المنتخبين و هذا ما عرف بمجالس الإدارة وقد لجأ إليه السلطان عبد العزيز الأول(1861-1876م) لتنظيم إدارة الدولة و مركزية الحكم العثماني، و تصفية الإقطاعات القديمة و تحديد صلاحيات الموظفين و الإداريين الجدد من الولاة إلى المدراء نزولاً و اعتمد هذا القانون على أساس التنظيم الإداري الفرنسي، وألغيت نظم التيمارات و الزعامات، و منه يعد الوالي رئيس الوحدة الإدارية العامة الممثل السياسي للحكومة و قد تحددت اختصاصاته بموجب التنظيمات الجديدة المتمثلة بقانون الولايات الجديد. [2]

ومنه تم تقسيم الولايات العربية إلى تسع ولايات(الحجاز- اليمن - البصرة - بغداد - الموصل - حلب -بيروت - سوريا - طرابلس الغرب). و أربع متصرفيات مستقلة مرتبطة بالعاصمة استانبول(القدس - بنغازي - دير الزور - جبل لبنان)، وإيالتين(مصر- تونس) حيث علاقتهما رمزية بالخلافة.

فأصبح هناك شكل إداري جديد[3].

أما في التعليم:

فقبل عهد التنظيمات كان لكل طبقة اجتماعية و طائفة دينية في الإمبراطورية العثمانية تعليمها الذي يهيمن عليه الجانب الديني بشكل كامل. و بدءاً من القرن التاسع عشر تأسست مدارس تقدم

[1] عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث، [د، ن]، القاهرة، 1968م، ص 48.
[2] مفيد الزيدي، مرجع سابق،ص 258.
[3] نفس المرجع،ص 261،ارجع للملحق رقم 01.

تعليماً معاصراً قريباً من الخصوصية العثمانية بسبب التحديث في الجيش و الإدارة الحكومية، و جاءت هذه المؤسسات إلى جانب مؤسسات التعليم الديني و توسعت و تطورت على حسابها.

لقد صدر تعميم بتاريخ الأول من آذار/مارس 1846م و صار هذا بداية تنظيم التعليم و كذا افتتاح مدارس متوسطة للبنات(رشديات الإناث)منذ 1859م باستانبول. و لاحقاً صدر النظام الدخول العام للمعارف الهادف لوضع التعليم على أسس معينة وعلى ثلاث درجات، و جعل التعليم الإبتدائي إلزاماً. إضافة إلى إن مكان المدرسة يحدد حسب الكثافة السكانية و يتحمل الشعب نفقات و أعباء فتحها و تلبية احتياجاتها.

انتشرت المدارس التبشيرية الأجنبية في الإمبراطورية بشكل مبكر جداً فمثلاً تعود فعاليات جمعية المسيح إلى القرن السادس عشر. فلم تخلق المدارس الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية أي تكامل مع نظام المعارف لا من ناحية الأسلوب و لا البرنامج و حتى أن بعضها عمل فترة طويلة دون ترخيص و تم التفكير في المدارس السلطانية من أجل إنهاء عملية إرسال الطلاب إلى أوربة بنسبة ما.

لكن روسيا مثلا و قبل مائة عام فعلت المثل و استفادت كثيراً لأن الثقافة الأوروبية كانت موجودة و التعليم منظم،أما لدى العثمانيين فكانت العلاقة مع الثقافة الأوروبية محدودة و سطحية حتى القرن التاسع عشر. [1]

وقد وصلت اللغة الفرنسية إلى مستوى اللغة المعروفة فقط في سوريا و لبنان. و لقد أعاق التعليم العلماني القومي نشر المدارس الأجنبية في سالونيك وبعض المدن المجاورة قليل جداً مقارنة بالتي افتتحت في إزمير و بيروت و صيدا و دمشق و حلب ولم يتأجج الفضول للدراسة في المدارس الأجنبية نتيجة الشغف بالأوربة البارز بعد عهد التنظيمات، بل نتيجة عدم نشر الدولة مؤسسات تعليم علماني حديث بالسرعة المطلوبة و لكن رغم هذا فإن السكان الأتراك المسلمين لم يحترموا المدارس الأجنبية حتى مطلع القرن العشرين و بقي عدد الطلاب المسلمين الأتراك في هذه المدارس قليلاً جدًا طوال سنوات عديدة ولم يزد هذا العدد إلا بعد المشروطية الثانية.

رغم أن سكان البلقان قد انتقلوا إلى العلم الحديث مبكراً فقد خضع الأهالي المسيحيين لتعليم منتظم مبرمج بدءاً من مرحلة التعليم الإبتدائي حتى مرحلة التعليم العالي بسبب تفتح المنطقة على الثقافة

[1] البر أورطايلي، مرجع سابق، ص193,

الغربية، إلا أن الأتراك فقد كانوا مضطرين بعد التعليم الإبتدائي غير المبرمج و غير المضبوط لإكمال تعليمهم العالي المبرمج في الكليات العسكرية التقنية(كالكلية الحربية المؤسسة سنة1830م)، لهذا السبب كانت سوية التعليم في تلك الكليات متدنية منذ البداية، و على الرغم من فتح دار المعلمين عام 1847م و معهد الإدارة سنة1859م إلا أنها لم تتمكن من تقديم تعليم يحمل خبرة حقيقية ، كذلك لم يكن لدى الدولة أي التزام إزاء رعاياها الملزمين بتعليم أولادهم و حتى إن الدولة تسدد ربع راتب المعلم فقط و باقي الراتب يدفع من ميزانية المجالس العمومية في كل ولاية، و تسدد ميزانية التعليم و نفقاته بمساعدة المدير بحسب ما كان يقال، و عملياً لم تستطع تلك اللجان عمل شيء مهم. [1]

بعض مظاهر الإصلاح:

بعاصمة الخلافة: كان عابدين باشا الذي تولى كل من ولاية أنقرة و أضنة من الولاة المشهورين بتطوير شبكات الطرق. و القرار التنظيمي الخاص بالطرق يفرض على الرجال من الأهالي العمل عشرين يوماً كل خمس سنوات في شق الطرق وإصلاحها، سواء بالعمل الجسدي أو بإرسال دابته، و مع ذلك الطرق البرية لم تشق و تصلح بالسرعة و النوعيتين المطلوبتين، ثم دخلت الخدمة خطوط الخدمة خطوط البرق في 1853م بين اسطنبول و أدرنة.

و ما بين عامي 1862م و1863أدخل الطابع البريدي حيز الإستخدام، و ذلك بعد أن فتحت الدول الأوروبية مكاتب له.

واحتلت السكك الحديدية مكانة مهمة في البنى التحتية المرغوبة بشدة على الرغم من أنها تكلف كثيراً، ومنذ مؤتمر باريس 1865كان لدى رأس المال الأجنبي رغبة شديدة في التدخل باستثمارات السكك الحديدية في الإمبراطورية العثمانية، حتى إن الإذن الخاص اللازم لاستخدام الأراضي التابعة لقصر طوب قابي من أجل بناء محطة سيركجي للقطارات كان سبباً لجدل بين الوزراء لكن الإذن تم إصداره.

فكانت أول سكة حديد تدخل حيز التشغيل تلك التي تصل إزمير يآيدن و المنشأة برأسمال انغليزي و سرعان ما تبعتها فرنسا و ألمانيا في هذا المجال، وعلى الرغم من محاسن السكك الحديدية إلا أن الولايات الكبيرة الواقعة خلف المناطق الساحلية الضيقة محرومة من نعم الحضارة القادمة مع

[1] ألبر أورطايلي، مرجع سابق، ص187.

السكك الحديدية و إمكانات نقل محاصيلها و تسويقها، و كما أن الحكومة ليست صاحبة كلمة في موضوع تحديد مسار السكك الحديدية وهذه مشكلة أخرى. [1]

ببعض الإيالات العثمانية:

سوريا: فمن الناحية العلمية بدأت بها حركة نشطة جداً بسبب المدارس و المطابع فقد جرت محاولات لترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية و شارك في عملية الترجمة ناصيف اليازجي(1800-1871)، وقد حظي التراث العربي بنصيب وافر من هذه النهضة. وكذلك برز العديد من المؤرخين الذين نشروا كتباً قيمة كجرجي زيدان. [2]

أما على مستوى الإدارة فكان لصدور قانون الولايات سنة 1864أثر كبير في إعادة تنظيم إدارتها. إذا انضمت بيروت إلى ولاية دمشق التي عرفت آنذاك باسم ولاية سوريا و لكن بسنة 1888أعادت الخلافة تشكيل ولاية مستقلة مركزها بيروت، و أصبح لكل ولاية مجلس إدارة ،و تميزت دمشق و حلب بمن نشأ من شبانها بالمدارس العسكرية التي نشأت هناك.

و عندما عين مدحت باشا والياً على سوريا 1878 و بقي بمنصبه حتى 1880م سعى لتنظيم الإدارة و الضرائب و عمل على تشجيع الحركة التعليمية. [3]

و تواصلت هذه الجهود حتى عهد ناظم باشا(1910- 1912) جرت عدة إصلاحات كتزويد دمشق الكهرباء و بخطوط الترامواي و بناء الأحياء الحديثة و تبليط الشوارع .

ويعد السوريون ناظم باشا خير من تولى إدارة ولاية سوريا فكان بالإضافة إلى عدله و حزمه مثال حي لإنجاح العديد من المشاريع العمرانية ، كما تم منح الإمتيازات للشركات الأجنبية ببناء الطرق ومد الجسور كامتياز إنشاء ميناء بيروت 1889م. [4]

تونس: كأهم إصلاح بهذه الإيالة جاء قانون عهد الأمان الذي هو وثيقة أساسية أعلنها محمد باي يوم 9 سبتمبر 1857م و هو أول نص يمنح السكان بالإيالة التونسية حقوقهم الأساسية في الأمن على أرواحهم و أملاكهم و أعراضهم. لقد توجت الإصلاحات التي قام بها أحمد باشا باي

---

[1] ألبر أورطايلي ، مرجع سابق، ص 153.
[2] هشام سوادي، مرجع سابق، ص102.
[3] هشام سوادي، مرجع سابق، ص100.
[4] نفسه، ص110.

في الميادين العسكرية و الإجتماعية و التعليمية بإصدار وثيقة عهد الأمان التي صدرت في عهد خلفه محمد باي.[1]

و الحقيقة أن هذه الإصلاحات جاءت كنتيجة للوعي بالبون الشاسع الذي يفصل البلاد و العالم الإسلامي بصفة عامة عن أوربا، ، إضافة لظهور فئة مثقفة من مؤرخين و أدباء أيدوا الإصلاح في الدولة وبالتعليم خصوصاً. كما كانت بتأثير من القناصل الأجانب بتونس، فضلاً عن المقربين من الباي من التونسيين كالمؤرخ أحمد بن أبي الضّياف،و الأجانب من بينهم الوزير جوزيف راف. و يتكون عهد الأمان من مقدمة و إحدى عشر مادة و تشير المقدمة إلى وجوب الإهتداء بأحكام الشريعة الإسلامية باعتبار أن الإسلام هو الدين الرسمي للإيالة؛ و الدولة العثمانية تؤكد على الأمن لرعاياها و تراه من الحقوق المرعية. أما مواد العهد فتتمثل في أهم النقاط التالية: [2]

- ❖ تأكيد الأمان لسائر رعيتنا و سكان إيالتنا على اختلاف الأديان و الألسنة و الألوان في أبدانهم المكرمة، و أموالهم المحرمة أعراضهم المحترمة إلا بحق يوجبه نظر المجلس بالمشورة و يرفعه إلينا، و لنا النظر في الإمضاء أو التخفيف ما أمكن أو إعادة النظر.
- ❖ تساوي الناس في أصل القانون.....بحيث لايجاوز العظيم لعظمته و لا يحط على الحقير لحقارته.
- ❖ التسوية بين المسلم و غيره من سكان الإيالة في استحقاق الإنصاف لأن استحقاقه لتلك بوصف الإنسانية لا بغيرها من الأوصاف و العدل في الأرض هو الميزان المستوي.
- ❖ إن الوافدين على إيالتنا لهم أن يحترفوا سائر الصنائع و الخدم بشرط أن يتبعوا القوانين المرتبة و التي يمكن أن تترتب مثل سائر أهل البلاد لا فضل لأحدهم على الآخر.

مع أن النص حث على مساواة الجميع بالإيالة مسلمين و يهود و نصارى لكنه جاء في الحقيقة لخدمة الجاليات الأجنبية و من يدور في فلكها و مع ذلك كان بالإمكان خاصة بعد

[1] إكمال الدين إحسان أوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ و حضارة ، ج2، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول ،1999م، 405.

[2] إكمال الدين إحسان أوغلو، مرجع سابق، ص 406.

دستور عام 1861أن تكون هناك مساهمة في تطوير الحياة السياسية و ممارسة الأنشطة التجارية و التملك شريطة الإلتزام بالقوانين العامة.[1]

المبحث الثالث: بعض الخلفاء المصلحين:

السلطان سليم الثالث(1789-1807): الذي يعد من أوائل المصلحين و الرواد الحقيقيين في الخلافة. إذ كانت ثقافته أكثر اكتمالاً من سابقيه ، وقد حالفه الحظ بعقد صلح مع النمسا إثر انشغال الأخيرة بالثورة الفرنسية ؛ ولم يتردد في الأخذ ببعض الأنماط الغربية، فأثناء تحديثه لتشكيلات الجيش جمع بعض الضرائب تحت اسم ايراد جديد [2] وسميت خزينة لهذا النظام الجديد و كانت وظيفتها توفير الموارد المالية لمصروفات التشكيلات العسكرية الجديدة التي نشأت على غرار الدول الأوروبية.

أما النظام الجديد [3]فهو الحركة التجديدية التي قام بها السلطان سليم الثالث و استهدفت إجراء إصلاحات في الإدارة و التجارة و الفن و منه جاء الجيش النظامي الذي هزم جيش نابليون بعكا. لكن الإنكشارية ثارت على الدولة فاضطر السلطان لإلغائه في 1807م. و مع ذلك الإنكشارية لم يهدأوا حتى قتل السلطان.

السلطان محمود الثاني(1807-1839): على الرغم من الظروف الخارجية و الداخلية الخطيرة إلا أن هذا السلطان استطاع أن يلغي الإنكشارية في الواقعة الخيرية في 1826وأنشأ العساكر المحمدية المنصورة. [4]

ونظراً لحماس هذا السلطان للإصلاح و تشجيعه ظهر ولاة مصلحون بالإيالات كالعراق بعهد الوالي داوود باشا(1817-1831)الذي وصف بأنه رائد الحركة الفكرية و النهضة الأدبية بالعراق إبان القرن 19م. [5]

السلطان عبد المجيد(1839-1861م): بعهده تم إصدار خطي شريف كلخانة و همايوني. و بعهده كذلك بدأت المشروطية التي ستمهد لإصدار الدستور. و كان مؤمناً

[1] نفس المرجع، ص 407.
[2] سهيل صابان، مرجع سابق، ص47.
[3] نفس المرجع، ص223.
[4] هشام سوادي، مرجع سابق، ص96.
[5] سيار الجميل، مرجع سابق، ص 411.

بضرورة تقديم خارج التعليم الديني من أجل توصيل العلم الحديث لكل الرعايا دون تفرقة من أجل تحرير المسلمين من أجل تحرير المسلمين من الجهل و ترسيخ الروح العثمانية. و قام بتشجيع مد خطوط السكك الحديدية التي ستجلب معها نعم الحضارة و توصل سلطة النظام إلى كل مكان من البلاد لكن أفلست المالية العثمانية بسبب الإستثمارات الجديدة كانت ستؤدي لمديونية جديدة. [1]

السلطان عبد الحميد الثاني(1876-1909): في 23سبتمبر1876أعلن الدستور الذي يضمن الحريات المدنية و ينص على مبدأ الحكومة البرلمانية، و قد أمر السلطان بأن يوضع موضع التنفيذ، و اجتمع أول برلمان عثماني في 29مارس 1877م.[2]

و تعرض السلطان عبد الحميد إلى استبداد الوزراء الذي بدأ منذ عهد الخلفاء السابقين و كذا لاشتداد نزعتهم التغريبية. و تجدر الإشارة إلى أن السلطان كان مضطراً لإعلان الدستور بسبب ضغوط مدحت باشا عليه، و لذلك عندما سنحت فرصة قام بتعطيل المجلس ، وكان ضد الحكم بالدستور(المشروطية) أي الإشتراط على الحاكم بتحديد سلطاته باعتباره فكر وافد من الغرب. [3]

[1] الغالي غربي، مرجع سابق، ص152.
[2] البر أورطايلي، مرجع سابق، ص 221.
[3] علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية أسباب النهوض و عوامل السقوط ، ط1،شركة الأمل للتجهيزات الفنية، مصر،2001،ص405.

العثمانيون لم يفرضوا العزلة على المشرق العربي فقد سعت الدولة العثمانية منذ البداية لربط المشرق و البلاد الإسلامية بأوروبا كما فعل السلطان سليمان القانوني مع فرانسوا الأول ملك فرنسا؛ و حاولت إبقاء العلاقات الإقتصادية نشطة خصوصاً بعد الضرر الذي لحق بالتجارة العثمانية بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح.

إلا أن تحركات أوربا العسكرية ذات الطابع الديني العدائي أجبرت الخلافة الإسلامية على اتباع سياسة حذرة و محتاطة تماماً لربما لم تسمح بالتبادل الثقافي، إلا أن العرب أنفسهم لم بيد لديهم القبول بالأخذ عن أوربا آنذاك لاستقرار حياتهم الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية.[1]

و لاحقاً يؤكد كثير من المؤرخين أنه ليست ثمة أمة في العالم أظهرت استعداداً كبيراً للاستفادة من المعارف الحديثة كالخلافة الإسلامية العثمانية؛ ما يعني أن العالم الإسلامي كان مستعداً للدفاع عن تاريخه أمام العالم الأوروبي، على الرغم من تشابك ازدياد النفوذ الأوروبي و حركة الإصلاح.[2]

على الرغم من الإصلاح و مساعي السلاطين للدفع بعجلته قدماً ؛ألا أن الإهتمام بالجانب العسكري و حده غير كاف فلإصلاح شامل و اسع يمس طوائف المجتمع باقتصاده و ثقافته و عقلية حاكميه كان أكثر أهمية.

و منه ظهرت الحركات الإسلامية الإصلاحية التي حاولت الخروج بالعالم الإسلامي من الركود و الجمود الذي هيمن عليه و الذي أصبح يهدد البلاد الإسلامية بالخضوع للاحتلال بسبب الإرهاصات الكثيرة التي تنبئ بالخراب مثل التعليم العلماني و الإستثمار الأجنبي . و فيما يلي عرض لأهم تلك الحركات من الشرق الإسلامي حتى غربه و كيف ساعدت المسلمين في التصدي للتكالب الغربي على وراثة الدولة العثمانية.

[1] زكرياء سليمان بيومي، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية،ط1،دار العلم والإيمان،2007،ص105-107.
[2] نفس المرجع، ص110.

على الرغم من الإصلاح و مساعي السلاطين للدفع بعجلته قدماً ؛ألا أن الإهتمام بالجانب العسكري و حده غير كاف فلإصلاح شامل و اسع يمس طوائف المجتمع باقتصاده و ثقافته و عقلية حاكميه كان أكثر أهمية. و منه ظهرت الحركات الإسلامية الإصلاحية التي حاولت الخروج بالعالم الإسلامي من الركود و الجمود الذي هيمن عليه و الذي أصبح يهدد البلاد الإسلامية بالخضوع للاحتلال بسبب الإرهاصات الكثيرة التي تنبئ بالخراب مثل التعليم العلماني و الإستثمار الأجنبي . و فيما يلي عرض لأهم تلك الحركات من الشرق الإسلامي حتى غربه و كيف ساعدت المسلمين في التصدي للتكالب الغربي على وراثة الدولة العثمانية.

المبحث الأول: بعض حركات أهم حركات الإصلاح في الدولة العثمانية:

1- في المشرق العربي: أ) الجامعة الإسلامية:

عند اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1293ه/ 1876م[1] بعد أخيه مراد الذي عزل إثر اختلال عقله للعرش، وهو اعتلاء تزامن -بالخصوص- مع حرب على الأبواب مع روسيا؛ فلا غرابة أن يوقن أن لا سبيل -و لو قولاً- للوقوف في وجه المخططات الاستعمارية إلا بدعوة المسلمين إلى الإتحاد في وجه هذا الخطر فكان رفعه لشعار سياسة الجامعة الإسلامية (Le panislamisme) القائمة على توحد المسلمين بقطع النظر عن فوارق اللغة و الجنس و الوطن و غيرها من عوامل التباين التي لا قيمة لها أمام عوامل الدين و العقيدة التي صهرتها.[2]

لقد كانت الجامعة الإسلامية تعني بمعناها الشامل و مفهومها العام..... الشعور بالوحدة العامة و العروة الوثقى لا انفصال لها بين جميع المؤمنين في المعمار الإسلامي..... [إذ] في الواقع ليس من دين في الدنيا جامع لأبنائه بعضهم مع بعض، موحد لشعورهم دافع بهم نحو الجامعة العامة و الإستمساك بعروتها كدين الإسلام.[3]

لقد كانت دعوة الجامعة الإسلامية تهدف إلى إعادة وحدة المسلمين التي كانوا عليها في بداية الإسلام فالبعد الديني إذن ليس بجديد و لكن أضيفت عليه في نهاية القرن 19م شحنة سياسية.

و قد تضافرت عدة عوامل ساعدت السلطان على تبنيه هذه الفكرة مثل:

مع أن مرحلة الإصلاح العثماني(التنظيمات)قد أدخلت تحديثاً على الدولة بكثير من المجالات لكنها عجزت عن تحويل الدولة العثمانية لدولة قوية قادرة للوقوف بوجه الدول الأوروبية .[4]

بعد مؤتمر برلين 1878سلخت أجزاء كثيرة من الدولة العثمانية .

شكل العرب عنصراً مهماً في الدولة العثمانية و كان على السلطان أن يلتفت إليهم و تقريبهم، فالعرب هم أصل الإسلام و لغتهم لغة القرآن.

---

[1] وقد عين السلطان عبد الحميد مدحت باشا صدراً أعظم ونظراً لضغطه هو و جماعة تركيا الفتاة أعلن الدستور 1876،انظر(الصلابي،مرجع سابق،ص401).

[2] التليلي العجيلي، صدى الجامعة الإسلامية في المغرب العربي(1876 -1918)دار الجنوب للنشر، تونس ،2005م،ص91.

[3] نفسه،ص 92.

[4] التليلي العجيلي، مرجع سابق،ص92.

ظهرت في العالم العربي منذ أوائل القرن التاسع عشر حركات إحياء دينية ترفض الإقتباس عن الغرب اقتباسا علمانيا فالإسلام يختلف عن النصرانية اختلافاً واضحا ،ونادت تلك الحركة بوجوب العودة إلى الأصول الإسلامية الأولى ،فهاجمت السلطان لعدم تطبيقه الشريعة الإسلامية[1].

و منه ففقدان الدولة العثمانية لقبرص 1878و الإيالة التونسية 1881ومصر1882م تطلب إيديولوجية سياسية و إجراءات عملية لمواجهة التدخل السياسي و العسكري والإقتصادي لأوربا.

ومن ذلك المنطلق فإن فكرة الجامعة الإسلامية كانت بالأساس دفاعية تهدف ــ بدون أولى ــ إلى انتشال المسلمين من الهيمنة الأجنبية بواسطة توحيدهم فليس غريبا أن يتزامن ظهورها، في الثلث الأخير من القرن 19م مع استيلاء العديد من القوى الأوروبية على العديد من الأقطار الإسلامية و تهيؤها لبسط نفوذها على البقية الباقية منها.

لقد أوجدت كل الظروف الضاغطة تلك لدى المسلمين اعتقاداً راسخاً بأن الإسلام بالفعل في خطر، الأمر الذي في نقمتهم على الغرب الإستعماري و عدائهم له و حتم عليهم التحرك متوحدين طمعاً في تحولهم مجتمعين إلى قوة لها وزن من شأنها أن ترهب أعدائها.

أن المناخ النفسي الذي كان عليه مسلمو الربع الأخير من القرن 19م جعلهم مهيئين للإثارة و قابلين للاهتزاز لأية صرخة إنذار(cri d'alarme) بل و الإنسياق رواء أية دعوة موجهة ضد الهيمنة الأجنبية و التصديق لأطروحاتها الأمر الذي يحملنا على الجزم بأن الفكرة تجد مبررات نشأتها واستفحالها في النزعة الاستعمارية للغرب الرأسمالية أكثر منها في تحركات داعية مسلم.

و لذلك قام السلطان بتسخير كافة الموارد المادية و البشرية للدعوة لفكرة الجامعة الإسلامية فدرّب عدد كبير من الدعاة و الوعاظ و أرسلهم للأقطار الإسلامية مزودين بكثير من المصادر والكتب الدينية و غيرها المطبوعة على نفقة الدولة العثمانية.

[1] نفسه،ص 93.

فقام هؤلاء الوعاظ و الدعاة بنشر فكرة الجامعة الإسلامية و أهمية التضامن الإسلامي و الإلتفاف حول السلطان باعتبارها خليفة المسلمين، و استغلوا مواسم الحج فضلاً عن سفرهم و تطوافهم في البلدان الإسلامية و حتى المحتلة منها، تحت غطاء التجارة و طلب العلم.

و اهتم السلطان عبد الحميد كثيراً بإحياء الخلافة و إعادة مكانتها الأولى أي تغيير مركزه من خليفة بالإسم إلى خليفة بالفعل.

وقد قام السلطان بدعوة العلماء المسلمين و الإستعانة بهم و الإستفادة من أفكارهم في مجال دعم فكرته مثل الشيخ جمال الدين الأفغاني الذي قدم لاستانبول 1832م.

و قد شجع عاملان السلطان على دعوته:

أولاً: صدور مجلة العروة الوثقى بالعربية بباريس 1884م من قبل الشيخ الأفغاني و محمد عبده و هي تدعوا لقيام رابط بين الأقطار الإسلامية و قد ساهمت لاحقاً ببلورة المحتوى العقائدي للجامعة الإسلامية.

ثانياً: خشية السلطان من انضمام الأفغاني إلى حركة تركيا الفتاة لاسيما و أن الأفغاني أعجب ببرنامجهم و شجعهم.

ولتحقيق أهدافهم اقترح الأفغاني على السلطان العثماني خطة لتحقيق الوحدة بين الأقطار الإسلامية تشمل إنشاء اتحاد غير مركزي في الدولة العثمانية يشمل جميع الولايات العثمانية و هذا يعني أن يكون الحكم برلمانيا لأن مثل هذا النوع من الحكم يمنع الإستبداد الذي عانته شعوب المنطقة، ومنادياً بحكم الشورى ممثلاً بوجود الدستور الذي يحدد سلطة الحاكم و يحقق العدالة و الحرية.....وإذا ما تحقق ذلك فبالإمكان أن يضم إيران و الهند و أفغانستان إلى الإتحاد لكن السلطان العثماني رفض الإقتراح و اعتقد بأن تطبيقه سيفقد سيطرتهم على الولايات العثمانية. [1]

[1] هشام سوادي، مرجع سابق، ص 297.

و كان محمد رشيد رضا(1865 ــ1935)[1]: من أبرز رواد هذه الفكرة كذلك إذ نظر للدولة العثمانية بوصفها أكبر دولة إسلامية ووجوب ضرورة بقائها لأنها رمز لوحدة المسلمين و للخلافة الإسلامية. فاقترح مشروع يتمثل بإنشاء جمعية إسلامية تضم كافة الأقطار الإسلامية برئاسة الخليفة العثماني و مقرها مكة المكرمة و يكون للجمعية فروع في كافة الأقطار الإسلامية و سبب اختيار مكة بسبب موسم الحج كأفضل فرصة للقاء فضلاً على أنها في منأى عن دسائس و مؤامرات الدول الأجنبية.

مقترحاً أيضاً إعداد منهاج موحد للجمعية يلتزم به كل أعضائها.

و فعلاً لما وصلت السكك الحديدية إلى المدينة المنورة عام 1908م ازدادت الرقابة من مركز الدولة كثيرا على الرغم من أن الولاة العثمانيين لم تكن كلمة مسموعة على غرار رؤساء العشائر، و لما تضاعف الإهتمام بالحجاز ازدادت أعداد قوافل الحج الضخمة بقدر لا يقارن بما كان في السابق و تضاعفت قدرتها الدعائية في خط السياسة الإسلامية. كما كان أمر العناية بالصحة و الرغبة في الوقاية من الأوبئة التي كانت تظهر قي موسم الحج كوباء الكوليرا الذي فتك بالحجيج سنة 1893م من الملامح الأخرى لتلك السياسة التي بذل السلطان جهده في الدعاية لها.

أما تطبيق فكرة بقاء المنطقة تحت الحكم العثماني فقد اصطدم بالسياسة الإنجليزية بوجه خاص و أصبحت عنصراً من أهم عناصر التحريض على الانشقاق و إثارة النزعة العربية على الإنفصال.[2]

أما بالنسبة للمفكرين بالعالم الإسلامي فانقسموا بين مؤيد و معارض. [3]

---

[1] محمد رشيد رضا : هو مفكر سياسي و مصلح ديني تربوي، كان مؤيداً لأفكار الشيخ الأفغاني وعمل على نشرها من خلال جريدة المنار التي أصدرها بعد توقيف العروة الوثقى ، انظر (أحمد علي سالم ، بحث حول الإصلاح السياسي عند الشيخ محمد رشيد رضا ، بحث الكتروني، ص 6، يوم 20 أفريل 2014، 10:00 صباحاً).

[2] إكمال الدين إحسان أوغلو، الدولة العثمانية تاريخ و حضارة ،تعريب صالح سعداوي،ج1، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول، 1999 ، ص126.

[3] ونس ، الحرارشة ، فكر محمد كرد علي و دعوته الإصلاحية، دار اليازوري العلمية ، الأردن،2006،ص25.

فمن المؤيدين نجد كرد علي محمد علي[1] الذي حاول مع غيره أن يصلحوا في الأوضاع كافة، كون الدولة العثمانية حاملة لواء خلافة المسلمين.[2]

فكانت أسباب الإنحطاط كما خلص لها كما يلي:

- سياسة العلمنة التي انتهجتها الدولة العثمانية فكرد علي يرى أن الإسلام ليس السبب في التخلف و إلا لما أنشأ المسلمون تلك الحضارة الباهرة سابقاً.
- التواكل، فيقول: اتكلت الطبقة الذكية على بيت المال يرزق منه كل من كان ذا شرف وسابقة، أي الإنقطاع عن العمل الشخصي المثمر و انتظار آخر الشهر لقبض الراتب ــ كما يحصل بالمدينة المنورة و مكة المكرمة ــ حتى وهم الواهمون أن هذا العطاء غير معيب و أن العمل حطّة فتكرس الكسل و التواكل.
- التمسك بالقشور و انتشار الحركات الصوفية التي تضيع الوقت و تزهد في العمل و تشغل القلب بمكاشفات و خيالات ما أنزل الله بها من سلطان.
- الأوقاف الإسلامية و تفنن القوم في أصنافها للإبقاء على ثرواتهم نت المصادرات ووقاية لهم و لذرياتهم من الفقر فعاش المرتزقون منها عيشاً رخياً. على الرغم من مقاصدها النبيلة إلا أن العثمانيين وظفوه لغاياتهم بمصادرة أموال الناس و مصادرة أملاكهم.
- الجمود الحضاري بدعوى الحفاظ على الدين: على الرغم من أن الإسلام لا يحارب العلم بل إنه قد قام عليه،كذلك لا يوجد طبقة رجال الدين محصورون في الأمور التعبدية فقط. لأن الخليفة و رجل الحكم في الإسلام هو نفسه الإمام و خطيب الجمعة، فقد عرف الماوردي **الإمامة** على أنها:'' موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا.'' فترك الإسلام الإجتهاد للمسلمين في أمور حياتهم اليومية على النحو الذي يرون و لكن ما حصل أن تم إصباغ كل شيء بالصبغة الدينية. فالإسلام يختلف عن النصرانية و الخلط سبب من أسباب التراجع.

---

[1] كرد علي محمد علي(1876 - 1953): مفكر مصلح شغوف بالعلم و متعلق بالعلماء عمل في عدة صحف كجريدة الشام 1897م و رئيس المجمع العربي العلمي 1919م ووزير للمعارف 1920مو مرة أخرى 1928. تعلم اللغات الأجنبية و سافر لأوربا مرات عديدة. و عمل طول حياته لاستنهاض همم العرب و دفهم للاستنفاع بالجانب الجيد من الحضارة الغربية ، انظر (ونس الحرارشة ، فكر محمد كرد علي و دعوته الإصلاحية ، دار اليازوري العلمية ، الأردن ،2006م، ص6.

[2] ونس الحرارشة ، نفس المرجع ، ص 26.

- تراجع العلوم العقلية التي من شأنها أن تؤدي للتقدم العلمي و الصناعي فيرى كرد علي أن التسابق في العلم الصناعي و التربوي هما دعامتا النهضة.
- إغفال أمر المرأة حيث بقيت في الجهل فجاء أبناؤها لا يفكرون في تغيير الواقع و تطويره لأن أمهم طبعتهم بطابعها الذي لا تملك غيره.

على الرغم من هذه الأسباب و الحلول التي خلص لها كرد علي كالحث على التعليم و تطوير الصناعة و تعليم المرأة...الخ. إلا أن العوائق كانت أقوى من هذه المحاولات للدفاع عن الخلافة.

وأما من الإتجاه المعارض فنمثل بموقف عبد الرحمان الكواكبي(1849 ــ1903م)، فقد فتمركز أفكار الكواكبي حول الأنظمة السياسية الإسلامية معتقداً أن أسباب التخلف و الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية يعود إلى تخلي الحكومات الإسلامية عن مبدأ الشورى و حرية الرأي الذي قامت عليه الدولة الإسلامية الأولى، و إن النزعة الإستبدادية التي طغت على الحكم الإسلامي لاحقاً قد أسهم كثيراً في تدهور أوضاع الأمة الإسلامية .[1]

ومن هذا المنطلق اعتقد الكواكبي أن الدولة العثمانية غير جديرة بقيادة المسلمين، و هاجمها كثيراً في كتبه "أم القرى" و "طبائع الإستبداد ". فمن وجهة نظر الكواكبي إن حكم العالم الإسلامي يجب أن يتولى كل منها مهام معينة في هذه الجامعة فقد أناط بالعرب المهام بالشؤون الدينية و أسند للأتراك العثمانيين مهام السياسة الخارجية، أما الشؤون الإدارية فقد أناط مهمتها إلى المصريين في حين أنه أسند الشؤون العسكرية لشعوب الأفغان و التركمانستان والقوقاز و شمال إفريقيا. [2]

ب)الرابطة العثمانية 1880م: كانت الدولة العثمانية دولة إسلامية بكل معنى الكلمة، و كان العرب المسلمون ينظرون إليها كتتمة للخلافة و حلقة متصلة بالتاريخ الإسلامي، و لذلك تمسك معظم المفكرين العرب في القرن التاسع بالرابطة العثمانية و لم يفكروا بالإنفصال

[1] ونس الحرارشة، مرجع سابق،ص30.
[2] ونس الحرارشة، مرجع سابق،ص 33.

النهائي إلا في بداية القرن العشرين نتيجة لحركة التتريك التي قامت بها جمعية الإتحاد و الترقي[1] التي استولت على السلطة عام 1908م .

و ظهر تيار الرابطة العثمانية بشكل جلي وواضح بمصر بعد الهيمنة البريطانية عليها عام 1882م. وكان قد دعا فمصطفى كامل إلى التمسك بالرابطة العثمانية و الدفاع عن الدولة العثمانية في صراعها مع الدول الأوروبية الطامعة فيها فهو يقول في مقدمة كتابه المسألة الشرقية 1898م:" إني أضرع إلى الله فاطر السماوات و الأرض، من فؤاد مخلص و قلب صادق أن يهب الدولة العلية، القوة الأبدية، و النصر السرمدي ليعيش العثمانيون و المسلمون مدى الدهر في سؤدد و رفعة و أن يحفظ للدولة العثمانية حامي حماها و للإسلام إمامه و ناصره جلالة السلطان الأعظم و الخليفة الأكبر الغازي عبد الحميد الثاني."[2]

وظهر العطف على الدولة العثمانية و التمسك بالرابطة الدينية لدى الكتاب و الشعراء مثل: حافظ إبراهيم يهنئ السلطان عبد الحميد بُعَيد جلوسه على العرش عام 1908م:

أثنى الحجيج عليك والحرمان وأجَلّ عيد جلوسك الثقلان

وجمعتَ بالدستور حولك أمة شتى المذاهب جمة الأضغان

جعلت أمر الناس شورى بينهم و أقمت شرع الواحد الدَّيَّان

و سار سليم تقلا مؤسس جريدة الأهرام في هذا التيار و كتب سنة 1899م :«إني أتبين هذا وهو الحق الصراح، كان ابن مصر و ابن الحجاز و الشام إخوة لأم هي دولتهم ، وأب هو جلالة السلطان...» وفي عام 1854م كتب محمد بن إسماعيل الجزائري يشكر فيه الله على نصرة السلطان العثماني(بحرب القرم) ويحفز بهذا الحدث الذي تحقق بالجهاد و التضامن بين المسلمين. و حدث رد الفعل نفسه في الجزائر بعد انتصار العثمانيين على اليونان عام 1897م.و توقع الثوار الجزائريون عام 1871م العون من السلطان العثماني .[3]

---

[1] جمعية الإتحاد و الترقي هي جمعية تأسست في باريس 1860م من الدستوريين المفتونين بأوروبا و هي جمعية سرية ساخطة في المنفى تدعوا لإسقاط السلطان ومن أهم منتسبيها مدحت باشا الذي نجح في خلع السلطان بدعم غربي سنة 1908 ومنه انتهت الخلافة الإسلامية العثمانية. انظر(إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان،ط1998،2، ص200)

[2] علي المحافظة، الآتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1898 -1914) الأهلية للنشر، بيروت ،1987، ص118.

[3] علي المحافظة، نفس المرجع،نفس الصفحة.

ج)ــ الدعوة السلفية(1740م ــ1816م):

يطلق بعض الكتاب على الدعوة السلفية اسم المذهب و البغض الأخر يطلق عليها اسم الوهابية و الحقيقة أن كلا الوصفين غير دقيق، فهي ليست بمذهب جديد في الإسلام لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يأت بمذهب جديد كالمذاهب الأربعة بل دعا لتخليص سلوك المسلمين من البدع و الخرافات بإتباع مذهب ابن حنبل. أما وصف الدعوة بالوهابية فأطلقه خصوم محمد بن عبد الوهاب حتى يبرهنوا أن مبادئه بدعة جديدة خارج الإسلام.أما الدعوة نفسها فالوصف الذي يلائم جوهرها هو لفظ السلفية.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب: في 1703م ولد للشيخ عبد الوهاب قاضي العيينة بوادي حنيفة و هي من أعالي نجد طفل أسماه محمداً زمن إمارة عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر. وكان الشيخ عبد الوهاب يدرس الفقه و التفسير ببيته الذي أصبح مقصداً لطلاب العلم. ومنه نشأ الطفل محمد واسع الثقافة سريع الفهم و الكتابة.و قد قام برحلة الحج بسن الثالث عشر ثم رحل لطلب العلم بالحجاز و المدينة المنورة و العراق و غيرها، ثم عاد و كان حينئذ في الخامسة أو السابعة و الثلاثين من عمره و قد اكتمل نضجه و اتسعت خبرته و معارفه[1]؛و من بين العوامل التي تأثر بها الشيخ كثيراً هي أحمد تقي الدين بن تيمية [2](1262 ــ1327) ،فكانت نفس مبادئ هذا الأخير هي ما ناد بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

مبادئ هذه الدعوة و تعاليمها: [3]

الدعوة للعودة بالإسلام لنقائه الأول و محاربة ما ابتدع من عادات و تقاليد مثلا الإحتفاء بزيارة القبور ــ إقامة الأذكار بغناء و رقص ــ محمل للتبرك به.

الحقيقة أن الوهابية لم تدع لمحاربة الوثنية التي هي في تقديس الأموات أو القباب و غيرها فقط و لكن أيضاً حاربت وثنية أصحاب السلطان و الحكام العثمانيين الذين كانوا من وجهة نظر الوهابيين مغتصبين للخلافة و حقها أن تكون أبداً في يد العرب.

---

[1] هشام سوادي، مرجع سابق، ص 210.

[2] ظهر أحمد بن تيمية في نهاية القرن الثالث عسر ميلادي ، ودعا لتحرير الإسلام من بدع الصوفية وهاجم كبار المتصوفة آنذاك كابن سبعين. انظر(علي المحافظة ، مرجع سابق، ص 40).

[3] هشام سوادي، مرجع سابق، ص 211.

وقد ألف الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتابه " التوحيد الذي هو حق الله على العبيد". أثناء مقامه بحريملا و الذي انتشر بعد وفاة أبيه 1740 لأن الشيخ كان يداري والده؛ وقد وقف البعض منه موقف العداء كالعلماء لأنهم رأوا ما يدعوا إليه يقو ّض مكانتهم لدى العامة و إيصاد أبواب رزقهم عبر الحج لهم و كتابة التمائم عندهم.

كما أنكر الشيخ و أتباعه تقليد أحد غير الأئمة ووجوب تتبع خطى السلف الصالح.[1]

و جداله مع والده قام الشيخ محمد بالمداراة حتى وفاة الأخير،فقام بالدعوة جهراً فأتاه كثيرون من بلدان العرض و العيينة و الدرعية و الرياض...و انتظموا في سلك دعوته فانتقل إلى العيينة لمواصل نشاطه؛و يمثل قبول أمير الدرعية للدعوة و تعهده على نشرها نقطة تحول هامة في تاريخ الدعوة بعض المراجع أن أمير عثمان بن أحمد بن عبد الله بن معمر هو أول من قرر مناصرة الدعوة ومنه انتقلت الدعوة من الميدان النظري إلى العملي فبواسطة الجهد الجماعي مع الشيخ استطاع هدم الكثير من القبب فوق القبور كقبر زيد بن الخطاب بالجُبيلة. إلى جانب إغلاقها زوايا الدراويش الصوفية الموجودة بمكة و المدينة و التي ازدادت بفضل الدعم العثماني لها.[2] لكن لاحقاً تعرض أمير العيينة لضغوط شديدة اضطر بعدها للتخلي عن الشيخ ، الذي سرعان ما وجد سنده في أخوا أمير العيينة ثنيان و مشاري ابنا سعود؛

فبمساعدة الأمير محمد بن سعود أرسل رسائل عديدة لأمراء الأقاليم و رؤساء العُربان و إلى بعض

أنصاره يشرح فيها أفكاره و حتى أنه راسل أعدائه على الرغم من حملة التشنيع التي قام بها أعدائه لتأليب الرأي العام الإسلامي على الشيخ و أفكاره[3].

موقف الدولة العثمانية: إن تطور الدعوة السلفية ممثلاً في الدعوة السعودية الأولى ووصولها إلى الحدود الشرقية في الخليج العربي و انتشار مبادئها بين قبائل هذه المناطق كأهل قطر الذين استدعوا ممثلين عن الدولة السعودية 1792، قد قو ّى مركزها لكن بعد دخول

[1] علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع و النشر الإسلامية، مصر، ط1 ،2001، ص 350.

[2] شوقي عطاالله الجمل ، تاريخ العالم العربي الحديث و المعاصر، المكتب المصري للمطبوعات، 2007م،ص 101.

[3] شوقي عطاالله الجمل، مرجع سابق، ص 102.

الوهابيون مكة 1803م و استيلائهم على لاحقاً على المدينة قد هدد الدولة العثمانية ففقدان المناطق المقدسة يضر بمكانتها في نفوس المسلمين لكن خروج قواتها العسكرية منهكة من الحرب مع روسيا، و الضعف العثماني الظاهر أمام قوات نابليون بونابرت زادت الفرص في الإلتفاف حول الدولة الجديدة. لذلك قامت الدولة العثمانية بتكليف واليها محمد علي لمواجهة هذا المد بعد فشل والي دمشق أثناء تقدم الوهابيين نحو الشام وفلسطين؛ فمحمد علي و بعد تردد استقر رأيه على تنفيذ لأسباب منها: ــ استرضاء الخليفة العثماني.

ــ يعطي محمد على مبرر لتكوين القوة البحرية و الحربية التي يمكن أن يستند عليها لتحقيق أهدافه.

ــ وعد محمد علي أنه في حالة إنقاذ الحرمين الشريفين من أيدي الوهابيين سيمنحه السلطان حكم مصر وراثياً في أسرته.[1]

و بدأت المعارك بين الطرفين منذ 1807م و في 1815عقد صلح بين طوسون بن محمد علي وبين عبد الله بن سعود وافق فيه الوهابيين على أن تكون السلطة لمصر في مكة و المدينة و باق الجهات التي خضعت لها. و اشترط أن تعرض الشروط هذه الهدنة على محمد علي لإقرارها، و لم يقر محمد على شروط هذه الهدنة.

وأخذ إبراهيم باشا مكان طوسون بعد وفاته 1816م و تمكن من حصار عبد الله بن سعود بالدرعية وأرسل للقاهرة ثم إلى الأستانة حيث أمر السلطان بإعدامه.[2]

و رغم هذه الضربة الموجهة لأتباع الدعوة إلا أنهم استمروا ببث التي تمكنت من إحياء الدولة السعودية بعد ضعف سلطة الدولة العثمانية بإقليم الحجاز في الحرب العالمية الأولى.

و رغم وجود جانب المغالاة في الدعوة السلفية فإنها كانت سبباً في هز الركود الذي عاشه العالم العربي طويلا، و كانت دعوة رائدة في وقتها رغم صعوبة التي تمت فيها.

2) في المغرب العربي: أ)ــ الحركة السنوسية:

قامت دعوات إصلاحية كثيرة في العالم الإسلامي متأثرة بالدعوة السلفية اتفقت معها في الهدف و الغاية و إن اختلفت معها في الوسيلة كالحركة السنوسية؛ التي تنسب إلى محمد بن

---

[1] نفسه، ص 104.

[2] هشام سوادي هاشم، مرجع سابق، ص 214.

علي بن السنوسي ــ الملقب بالسنوسي الكبير الذي يرجع نسبه إلى إدريس الأكبر أول الخلفاء الأدارسة بالمغرب ثم إلى علي بن أبي طالب و فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ [1]

الذي ولد 1787م بالقرب من مستغانم بالجزائر و تتلمذ عن فقهاء و علماء عصره مستغانم و فاس و القاهرة و الحجاز ثم قام بعدة رحلات اكتسب فيها الكثير من الخبرة و تبلورت فيها مبادئه. فقد اندمج في فاس ضمن أتباع الطريقة التيجانية كمدارس الصرف الصوفية الأخرى المنتشرة بهذه البلاد، و حين غادر فاس 1816م للحجاز حيث كانت تعاليم الوهابية و مبادئها منتشرة فاستوعبها؛ و عاد للجزائر حوالي عام 1829م وغادرها إلى مصر عقب احتلال فرنسا لها. و في مصر اتصل بالأزهر و علمائه و من مصر ذهب إلى مكة مرة أخرى حيث أقام عدة زوايا لنشر مبادئه و هي الزوايا السنوسية الأولى. [2]

في عام 1840م غادر مكة و انتهى به المطاف إلى برقة حيث أسس الزاوية البيضاء وفي أواخر عام 1842م التي كانت المعد الحقيقي لعظمة السنوسي و الزاوية الأم إلى أن بنيت زاوية الجغبوب [3] في عام 1856م فانتقل إليها السنوسي الكبير واتخذها مركز دعوته حتى وفاته في 7سبتمبر 1859م .[4]

أهداف السنوسية: يفهم مما تركه السنوسي الكبير من مؤلفات وما كتب عن الحركة أن الدعوة بجوهرها تعمل للعودة بالإسلام إلى ما كان عليه في عهد الرسول و الخلفاء الراشدين و اقتفاء السلف الصالح، أن الإجتهاد بابه مفتوح على أن يعود المجتهد لأحد المذاهب الأربعة.

لقد أنشأ محمد علي السنوسي دعوته على المحبة و الإقناع و إقامة زواياه لتكون بمثابة خلايا حية تبث الحياة إلى جسم الأمة الإسلامية فأصبحت مراكز توجيه للحياة العامة و

---

[1] علي محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ،مكتبة الصحابة ،ج1،ط1، 2001، ص 22.

[2] شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 107.

[3] زاوية الجغبوب : واحة تقع في الجنوب من طبرق على مسافة 300كلم تحيط بها صحراء قاحلة من الشمال و الغرب و الجنوب على مسافة سبعة أيام من كل جهة ،انظر (الطاهر أحمد الزاوي: عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، دار المدار الإسلامي ،بيروت، ط2، 2004.ص 99.).

[4] شوقي الجمل،نفس المرجع، ص108.

مراكز إصلاح إنساني شامل؛ فعاضدت الدولة العثمانية الدعوة السنوسية فبفرمان أصدره السلطان عبد المجيد (1839 ــ 1861) سنة 1859م يبث فيه امتيازات السنوسية و ينص على أن الزوايا حرم آمن. و لعل تجنب الاصطدام بالسلطات الحاكمة و كذا الأوروبية هو الذي دفع السنوسيين لهجرة المجتمع و المدن إلى الصحاري و الواحات حيث يتسع لهم المجال لإعداد نواة المجتمع الذي كان سائداً في عهد الرسول و خلفائه.[1]

وقد كانت الزاوية المركزية في الجغبوب إلى جانب رسالتها الدينية فقد حثت أتباعهم على الإنتاج الزراعي و الحيواني من أجل إقامة مجتمع ناجح 1ذو اكتفاء ذاتي، وكذا حرصت على توفير فصول دراسية للطلبة و أماكن إيوائهم هم و المدرسين، و جمع الكتب لتكوين الخزائن العلمية.

و رغم كل ذلك لم يغفل السنوسيين الجانب الحربي فقد اختاروا أماكن مناسبة لتأسيس زواياهم و حرصوا على تحصينها، و اشترطوا على كل مُنظم تحت لوائهم أن يتخذ سلاحاً و جملاً يركبه و أن يتعهد بالسير للحرب معهم في أي وقت دعت فيه الحاجة لذلك. و كذا في زاوية الجغبوب مارس أتباع السنوسية مختلف أنواع التدريبات كالرماية و كانت لهم مخازن للسلاح و مصانع لإصلاحها، وقد استفادوا من كل هذا عند مواجهة الإيطاليين الغزاة. [2]

إن أكبر الظن أن السيد محمد علي السنوسي قد استفاد من تجارب السلفيين ببلاد الحجاز و مصيرهم على يد قوات محمد على. فجاءت الدعوة السنوسية بطريق سلمي وكانت دعوة دينية مدنية و لم تختلف عن الدعوة السلفية. [3]

[1] هشام سوادي هاشم، مرجع سابق، ص220.
[2] شوقي الجمل، مرجع سابق، ص 223.
[3] هشام سوادي هاشم، مرجع سابق، ص 223.

ب) ــ الدعوة المهدية:

ظهرت في السودان الشرقي الخاضع لحكم مصر و التي بدورها كانت خاضعة للإحتلال الأجنبي. و يمكن تلخيص أسباب قيامها و استمرارها من شخصية المهدي القوية كذا الظلم والعنف، الضرائب الباهظة و التدهور الخلقي.

و كان مؤسسها محمد المهدي بن عبد الله بن فحل(1843 ــ21 يونيو/جوان 1885) و هو زعيم سوداني و شخصية دينية أعلن نفسه المهدي المنتظر و ادعى التكليف الإلهي لرفع الظلم و نشر العدل، و اتبعه كثير من أهل السودان و سماهم بالأنصار. [1]

تتلمذ على يد الشيخ محمد الشريف نور الدايم 1871م و انتقل لعيش حياة الزهد في كهف بمنطقة جزيرة أبا، و لما توفي شيخه قام ببناء قبة على قبره و أثناء ذلك التقى بالتعايشي الذي أيده في دعوته و أصبح خليفته لاحقاً.

اعتقد المهدي بتكليفه من الله عز و جل للقيام بمهام الثورة المهدية و ذلك عبر الرؤى بالمنام و الهواتف في حال اليقظة. فقال في إحدى خطبه بتاريخ 4 نوفمبر 1880: " لا يخفى عزيز علمكم أن الأمر الذي نحن فيه لا بد من دخول جميع المواطنين إلا من هو خال من الإيمان. وذلك مما ورد في حقائق غيبية و أوامر إلهية و أوامر نبوية أوجبت لنا مهامات صرنا مشغولين بها... و ثم تواترت الأنوار و البشاير و الأسرار و الأوامر النبوية و الهواتف الإلهية بإشارات و بشارات عظيمة."[2]

و قد تأثر المهدي بالصوفية من خلال أخذ البيعة و الإيمان بكرامات الأولياء الصالحين، و كذا لاجتماع بالنبي يقظة لا مناماً و كفر معارضيه و جعل الإيمان من شروط الإسلام.

و كعادته في التشبه بالنبي صلى الله عليه و سلم فقد أعلن نفسه خليفة و كتبها على رايته و سمى أصحابه أنصاراً، وعين لنفسه أربعة خلفاء شبههم بالخلفاء الراشدين:

ــ الخليفة الأول: عبد اله التعايشي بمنزلة أبي بكر الصديق وهو ولي من أولياء الله و أن النبي خضر وزيره و شهد له بالعصمة.

---

[1] تاج السر عثمان، أسباب و طبيعة الثورة المهدية في السودان(1881 - 1885)، الحوار المتمدن، العدد2434-2014/03/23، 11:00.

[2] شوقي الجمل، مرجع سابق،ص 113.

ــ الخليفة الثاني: علي ولد حلو شيخ قبائل رغيم.

ــ الخليفة الثالث: ظل شاغراً لأن المعروض عليه شيخ السنوسية بالجزائر رفضه.

ــ محمد شريف كخليفة الرابع علي بن أبي طالب و هو من أقارب الشيخ من الشباب. [1]

في عام 1881م أعلن الجهاد ضد الكفار و المستعمرين الإنجليز و لما أرسلت الحكومة قوات لإخماد ثورته هزمها في أوت 1881م مما دعم دعواه. ولاحقاً التقى جيش المهدي بجيش غوردون باشا الحاكم العام للسودان، واشتدت المعركة و قتل غوردون و كان سقوط الخرطوم بين يدي المهدي إيذانا بانتهاء العهد العثماني بالسودان.

و في يوم 22 يونيو/ جوان 1885م توفي المهدي بعد أن أسس أركان دولته الوليدة، و الجدير بالذكر أن هذه الدولة لم تدم طويلً ففي سنة 1896م قضى اللورد كتشنر الذي كان سردار لمصر على هذه الدولة و نسف قبر المهدي و بغث رفاته إلى المتحف البريطاني انتقاماً لموت غوردون.

بعد ذلك حاول عبد الرحمان بن محمد أحمد المهدي أن يعيد تنظيم المهدية بعد انفراط عقدها في 1914م و قد أنشأ أيام الإستعمار الإنغليزي على السودان حزب الأمة و هو حزب المهدية السياسي.[2]

بعض تعاليمها: * العودة مباشرة للكتاب و السنة دون غيرهما من الكتب.

- إلحاحه على التواضع و تشديد النكير على من انغمس في الترف و قد عاش هو مرتدياً جبة مرقعة هو وأتباعهن لكن أحفاده عاشوا في نعيم.
- يسر الزواج بتخفيف المهور و تحريم التبذير و الغناء و ضرب الدفوف.
- منع البكاء على الموتى و الإشتغال بالحشيش و الدخان و شربهما.

و قد أورد الدكتور تاج السر عثمان الباحث في التاريخ الإجتماعي للسودان بعض إنحرافات المهدي: 1[3] _ كتكفير من يخالفه ولم يؤمن به.

---

[1] علي المحافظة، مرجع سابق، ص 68.
[2] تاج السر عثمان، مرجع سابق.
[3] علي المحافظة، مرجع سابق، ص69.

2_ سمى الزمان الذي كان قبله زمن الجاهلية.

3- جعل المذاهب الفقهية و الطرق الصوفية مجرد قنوات تصب في بحره العظيم.

4-منع حيازة الأرض لأنها لا تملك إذ أنها محجوزة لبيت المال.

و يمكن القول عن المهدية أنها ليست حركة معادية للحكم فقط بل كانت ثورة اجتماعية ضد مجتمع متفسخ و طريقة حياة بالية، فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوضع الديني و الإجتماعي بالسودان آنذاك و تصدت لتحرير السودان من الحكم الأجنبي؛ و لكن مصيرها الذي انتهت إليه مؤسف فبعد أن جاءت لتنفذ الناس انتهى بها الأمر أن الجهل قعد ببنيانها و كانت مثاراً للتفرق القبلي من جديد.

وباعتبار المهدية مثلت حركات البعث و الإصلاح الإسلامي، فقد وافقت السنوسية في تعليق المذاهب ووافقت دعوة الإمامين الأفغاني و عبده في ضرورة تحرير البلاد الإسلامية من العدوان الأجنبي و توحيدها و تطبيق الشريعة بحياتها،مع أنها خالفتها بأمور أخرى.
وقد هدفت لغرضين هما: إيجاد مجتمع ديني كبير يضم السودان كله، و إيجاد رؤية قومية وثيقة بين السودانيين.

حاولت الدولة العثمانية أن تقوم بالإصلاح ، ورغم العقبات الداخلية المتمثلة في الحركات الإنفصالية التي استغلت سوء الإدارة و ضعف الدولة إضافة لمالية متردية وضعف الجيش. كما لم تسمح الدول الأوروبية بقيام إصلاح جذري نظراً لرغبتها في اقتسام تركة الرجل المريض. و عملاً بالمقولة التي مفادها: " ما أخذ من الصليب للهلال لا بد من استرجاع. " تباينت مواقف الدول الأوروبية و تضاربت مصالحها أكثر من مرة وإن اتفقت على اقتسام الأملاك العثمانية و هذا ما سأحاول توضيحه في الفصل التالي:

مدخل: ـ دور الإستثمارات الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية إبان القرن التاسع عشر:

كانت الضرائب المستوفاة من القطاع الزراعي فهو المصدر الأساسي لتسديد جزء من نفقات الدول الإدارية و العسكرية، بالإضافة إلى الموارد الأخرى التي أتاحها النمو الإقتصادي للدولة و خاصة بعد 1840م ، لكن هذه الأموال لم تكن كافية لتغطية كافة نفقات الدولة و لذلك اضطرت هذه الأخيرة للجوء إلى الدول الأوروبية الغنية للحصول على قروض و لم تهمل الحكومة العثمانية المخاطر المترتبة عن ذلك.

و أخيراً وجدت الحكومة أنه لا مفر لها من الإقتراض لتسديد تكاليف حرب القرم(1853 - 1856).[1] و توالت بعد ذلك القروض وهو الأمر الذي كانت تخشاه السلطنة و تسعى لتفاديه و في الفترة(1870 - 1880) عانت الدولة و كذا مصر و تونس من تفاقم الدين، و للخروج من الأزمة عهدت الحكومة للتفاوض مع الدائنين فخلصوا إلى تشكيل مديرية الدين العام تحت إدارة لجنة تمثل الدائنين تشرف على بعض قطاعات الإقتصادي العثماني من أجل تحويل ما أمكن من واردات هذه القطاعات لتسديد جزء من الدين. و بمرور الوقت شغلت هذه المديرية خمسة آلاف موظف لجباية الضرائب و تحويلها لحساب الأوروبيين. [2]

و الحق أن مديرية الدين العام أسهمت في تشجيع الممولين الأجانب على الإستثمار داخل الدولة العثمانية و خاصة في مجال السكك الحديدية و بناء الموانئ و بعض المرفق العامة . و بسبب تنفيذ هذه المشاريع بواسطة شركات أجنبية برؤوس أموال خارجية كانت النتيجة هيمنة الأجانب على الإقتصاد العثماني، و على الرغم من أن هذه الإستثمارات غيرت البنى التحتية للدولة بشكل هام إلا أن الديون المتراكمة أصبحت عبئاً ثقيلاً يستنزف موارد الدولة و يهدد سلطتها و تعاملها مع رعاياها الذين كانوا يدفعون الضرائب التغطية ديونها الخارجية .

وبرز الصراع و التوتر في المجتمع العثماني خلال القرن 19م. [3]

---

[1] شاركت في هذه الحرب لجانب الدولة العثمانية بريطانيا و فرنسا ضد روسيا.

[2] دونالد كواترت، الدولة العثمانية (1700 -1922)، تعريب : أيمن أرمنازي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004/، ص143.

[3] نفس المرجع، ص 144.

و لا يمكن إغفال دور الشركات الأجنبية في هذا الشأن، و بوجود عشرات الشركات العاملة بالدولة شغلت 13 ألف موظف في السكك الحديدية وحدها ناهيك عن البنوك و المرافئ ومعامل النسيج و غيرها. و قد كانت تلك الشركات دوما ما كانت تختار كبار الموظفين من الأجانب ثم يليه في المرتبة العثمانيون المسيحيون الذي شغلوا مناصب أرفع من المسلمين، و كذا في حال مشاكل مع الدولة و كأنها لا تأمن جانب الموظف المسلم. [1]

كما يمكن القول أن المستثمرين كانوا يفضلون التعامل مع إخوانهم في الدين ، فواقع إن احتواء الاتفاقيات الممنوحة للدول الأوروبية على بعض المواد مثل أحقية السفراء و القناصل في تعيين من يردون كمترجمين و حراس أمن و إعفاء المترجمين و عشرة من خدمهم من التكاليف المفروضة عليهم جعلت الرعايا الغير مسلمين يقبلون على الدخول في حماية الأجانب . فشكل المسيحيون حكومة داخل الدولة و احتلوا قمة الهرم بالمجتمع و تراجعت الصناعة المحلية بسبب عجزها عن المنافسة فأصبح الأجانب يسيطرون على الإقتصاد حتى أصبح العثماني غريب ببلاده .[2]

المبحث الثاني: سياسة الدول السباقة للحصول على امتيازات:

سياسة انجلترا اتجاه الدولة العثمانية:

قد كان سليمان الأول(1520 - 1566م) قد سمح للتجار الإنكليز منذ عام 1553م بأن يتاجروا بحرية في أراضي الخلافة العثمانية إلا أنهم لم يستغلوا هذا الإمتياز على الفور. فقد كان هؤلاء يأملون في شراء التوابل بأسعار أرخص بواسطة التجارة المباشرة و لذلك أخذوا يبحثون عن طريق جديدة و اهتموا خصوصاً بالطريق الذي ينطلق من موسكو إلى هرمز عبر إيران. إلا أن العثمانيين أرسلوا في عام 1562م وفداً إلى الشاه ليطلب منه عرقلة تغيير اتجاه الطريق التجاري. ثم عاودوا اتصالاتهم مع السلطان فقد كانت اسبانيا عدوة الطرفين لذلك رأت الحكومتان الإنكليزية و العثمانية أكثر من ضرورة للتقارب. [3]

---

[1] دونالد كواترت، مرجع سابق ، ص322.
[2] غانية بعيو، مرجع سابق، ص 100.
[3] خليل أينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ط1، دار المدار الإسلامي ، بيروت،2002،ص 215.

حاولت بريطانيا ضرب العثمانيين مرات عديدة و بوسائل مختلفة و على فترات متفاوتة، فقد كانت تطمع بالحصول على نصيب في تركة الرجل المريض. بعد أن وصلت المسألة الشرقية إلى دور الضعف العثماني و اقتسام الغنائم. فشجعت الحركات و الثورات و أمدتهم بالسلاح و المال لضرب العثمانيين من الداخل؛ و قد كانت عيون الإنكليز تتطلع دائماً لمصر و الخليج العربي و غيرها من مناطق عبور نحو طريق الهند. [1]

و كانت سياستها تقضي بالمحافظة على سلامة الدولة العثمانية وإبقائها متماسكة أطول فترة، و كذا العمل على التوازن القوى بين الدول الأوروبية بحيث لا تقع السلطنة تحت سلطة أي دولة على حساب غيرها. ومنذ معاهدة كارلوفيتز 1699م[2]، لمس الأوروبيين مدى الضعف العثماني و بدأوا في إملاء مزيد من الشروط طيلة الفترة من النصف الثاني من القرن الثامن عشر حتى مطلع القرن العشرين لتفكيك دولة الخلافة؛ و لولا وقوف بريطانيا مع الدولة لتمت السيطرة الروسية عليها. كما أن وقوف هذه الأخيرة مع هولندا ضد النمسا في صلح زشتوي 1790م لصالح السلطنة.

و عندما تجدد الصراع الروسي العثماني، وانتصار الأول تدخلت انجلترا مع بروسيا و هولندا لعقد صلح في 1722م لصالح روسيا. و مع ازدياد ضعف الدولة العثمانية تخلت بريطانيا عن سياستها الودية، ففي 1802م عقد صلح أميان بين فرنسا و بريطانيا و اسبانيا و هولندا رتب فيه أوضاع أوربا بعيداً عن الباب العالي. وأرادت بريطانيا السيطرة التامة على مصر طريقها نحو الهند. [3]

وبقيت انجلترا تترصد لاحتلال وادي النيل لا سيما بعد فتح برزخ السويس الذي جعل طريق الهند على مصر منذ 1869م و كأن انجلترا استأجرت قبرص من الدولة العثمانية في 1878م من أجل أن تكون قاعدة انطلاق نحو مصر في حالة تهديد خارجي لها [4]

---

[1] خليل أينالجيك، نفس المرجع، ،ص216.

[2] معاهدة كارلو فيتز: حيث ألغيت جميع الجزى التي كانت تدفعها أوروبا للعثمانيين و كانت إلى ذلك العهد أعظم ضربة للسلطنة ، وظهر للجميع بدأ عمل الضعف .راجع(شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار ابن كثير، [د،ن]، 2001،ص17) .

[3] محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين منذ قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة ، ط2، دار النفائس، 2008، بيروت، ص215.

[4] شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار ابن كثير ، دمشق، 2001،ص 304.

أما في مجال الإمتيازات :

فبعد 1838م كانت حاجة الإنكليز المتزايدة إلى المواد الخام لصناعاتهم المتنامية و إلى الأسواق الجديدة لتصريف بضائعهم هي العامل الذي دفعهم للبحث عن إمكانية ممارسة التجارة بشروط أكثر تيسيراً في الدولة.

و لذا كان هدف وزارة الخارجية البريطانية أن ترفع كافة أوامر المنع و التحديد و أن يجري تقليل بعض الرسوم المفروضة على التجار منذ نهاية القرن 19م.

و بسبب تمرد محمد علي باشا شعر رجال الدولة العثمانيين أنهم مضطرون للتراجع أمام انجلترا حتى يمكنهم التعجيل بتغطية عجز الخزنة بسبب الرسوم الجمركية التي لم تسدد لها و سجلت في حساب الديون من جهة، و ضمان الحصول على دعم بريطانيا الدبلوماسي من ناحية أخرى. [1]

و بتشكيل الحزب الوطني بمصر بزعامة عرابي و محمود سامي البارودي الذي كان هدفه كسر نفوذه الأوروبيين بمصر فأخذ الإنكليز يشعلون النار حتى يحدثوا ثورة بين المصريين و الأوروبيين. و كان السلطان عبد الحميد قد ساعد الحركة العرابية بشكل لا مباشر على مباشر على أمل إسقاط الخديوي توفيق و عائلة محمد علي و إعادة مصر ولاية عثمانية. و لما شعر الأجانب بأن الحركة العرابية مدعومة من الأستانة طلبوا من السلطان أن يصدر فرماناً بعصيان عرابي باشا و لم يسعه الرفض. و مع ذلك بقيت الثورة تمتد حتى جرت مذبحة الإسكندرية، و انتشرت الفوضى في البلاد؛ و ذلك ما كانت انجلترا تتمناه حيث جاء الأسطول الإنكليزي بسرعة في 1882م، ووقعت الحرب بين الإنكليز و العرابيين و كان هؤلاء يحاربون في ظاهر الحال باسم الخديوي و السلطة الشرعية. [2]

لما بقي في يد مصر القسم الأكبر من شبه جزيرة سيناء أراد العثمانيين إجراء تحصينات في القلاع غرب العقبة فاعترضت بريطانيا فأصر السلطان على التصرف ببلاده بحجة أنها بأجمعها بلاد عثمانية. فأنذرت بريطانيا الدولة بالحرب.

و عندما حصلت ألمانيا على امتياز انشاء خط حديد بغداد في 1903م، انزعجت بريطانيا من مد خط السكك الحديدية إلى ساحل الخليج العربي فاجتهدت في إغلاق الملاحة البحرية أمام

---

[1] إكمال الدين إحسان أوغلو،الدولة العثمانية تاريخ و حضارة، تعريب: صالح سعداوي،ج1، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول ،1999، ص 689.

[2] شكيب أرسلان ،نفس المرجع ، ص 306.

الألمان هن طريق عقد اتفاقية مع الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت و بالفعل وقعت معاهدة بين الجانبين 23كانون الثاني/يناير1899م. و لما رأت الحكومة العثمانية في الكويت قائمقائمية تابعة لولاية البصرة و أرادت تأكيد سيطرتها عليها فقررت إرسال قوة عسكرية لهذا الغرض لكن بريطانيا سبقتها، و أرسلت إلى الكويت بارجة حربية و أعلنت أنها لن تسمح بدخول الجيش العثماني إليها و لم تعبأ باحتجاج الباب العالي و ألمانيا، و لتضارب المصالح بقيت المسألة معلقة.[1]

و قد بلغ ببريطانيا حد دس الدسائس للتخلص من السلطان العثماني عبد العزيز 1876م بسبب تقاربه مع روسيا و محاولة إلغاء بعض نصوص اتفاقية باريس 1856م. فاتهمت السلطان بالتبذير و عدم الأهلية في إدارة شؤون البلاد، فعزله المتآمرون في 1856م ووجد ميتاً بعد ذلك بنفس السنة.

روسيا:

كانت العلاقة الروسية العثمانية تتميز بالعداء لعدة أسباب منها:

ـ الرغبة الشديدة في السيطرة على المضائق من أجل الوصول للمياه الدافئة، على الصعيد الإقتصادي و التحول للمذهب الأرثوذكسي.، جعلهم يعتقدون أنهم ورثة بيزنطة وأن واجبهم الديني، يقضي بطرد العثمانيين من أوروبا على الصعيد الديني، و تمكنت في عهد بطرس الكبير السيطرة لمدينة آزوف في 1699م بمعاهدة كارلو فيتز.[2]

و حاولت أوربا في 1770م ضرب العثمانيين في أكثر من جهة كبلاد الصرب و اليونان، وكذلك سعت لمساعدة القوى الثائرة ضد العثمانيين في المشرق العربي كظاهر العمر في فلسطين لكن ذلك باء بالفشل . و تمكنت الدولة العثمانية بفعل مساعدة الدول الأوروبية كفرنسا من دحر الروس في البلقان في 1773م. و لكن تجددت الحرب في 1774م و دارت الدائرة على العثمانيين و اضطروا إلى عقد صلح كوتشك كينارجي 1774م.

[1] محمد سهيل طقوش،مرجع سابق، ص 366.
[2] شكيب أرسلان، مرجع سابق، ص 299.

هذا الصلح الذي أعطى لروسيا مكاسب كبيرة أنهت قوة الدولة العثمانية و غدت هذه المعاهدة بداية استغلال الدول الأوروبية للمعاهدة لضرب السلطنة بحجة حماية النصارى كحق الروس بحماية الأرثوذكس كما تجددت هذه الصلاحيات في معاهدة ياش 1792.[1]

في بداية عهد السلطان عبد الحميد و في سنة 1876م، ظهرت الثورة إلى بلاد الصرب ، فأرسلت الدولة جيشاً للتنكيل بالعصاة. و كان مراد الصربيين أن يستقلوا استقلالاً تاماً و لا يؤدوا الجزية للسلطان، و لما سحقت العساكر العثمانية كل ثوار البلقان من بلغار و صرب و هرسك كانت روسيا تظاهر الثائرين كما لا يخفى فأعلنت الحرب على الدولة العثمانية لأنها كانت دائماً ترى نفسها مرجعاً للأمم السلافية و لاسيما الأرثوذكسية، من جهة ورغبة في امتدادها للبحر المتوسط من جهة أخرى. [2]

وعلى الرغم من دعوة بريطانيا لعقد مؤتمر دولي باستانبول للبحث في تحسين أحوال الرعايا النصارى في الدولة العثمانية و تجنب حرب بينها و بني روسيا ووضع شروط وافق القيصر عليها بامتعاض مع التهديد بالحرب في حال الفشل. و في 23 كانون الأول/ديسمبر أبدى المجتمعون من فرنسا و انجلترا و ايطاليا و النمسا و روسيا و ألمانيا الرغبة بتسوية المشكلات مع المحافظة على سلامة الدولة العثمانية ظاهرياً. و انتهى مؤتمر استانبول دون نتيجة بعد إعلان السلطان الدستور 1877م، فبدأت روسيا تستعد للحرب دبلوماسياً و عسكرياً. [3]

وقد أنذرت الجماعة الدولية الباب العالي إنه إن لم تتحسن أوضاع النصارى في البوسنة و الهرسك و بلغاريا و تخفيض عدد القوات العثمانية فيهما و مراقبة السفراء الأوروبيين تنفيذ هذه الإجراءات.

لكن مجلس المبعوثان رفض هذه المطالب على الرغم من معارضة السلطان جر البلاد إلى حرب خاسرة. فواجهت الدولة العثمانية وحيدة تكتلا دولياً نصرانياً من روسيا و الجبل الأسود و الصرب؛ وقد أحرزت الجيوش الروسية انتصارات سريعة و تمكنت بواسطة دعم الصرب

[1] محمد سهيل طقوش،مرجع سابق،ص 299.
[2] نفس المرجع، ص 424.
[3] محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص 410.

احتلال بلغاريا و الروملي الشرقية، و اندفعت الجيوش الروسية في طريقها إلى استانبول دون مقاومة.[1]

وفي خضم هذه الأحداث اختلفت القيادة العسكرية العثمانية على الإستراتيجية القتالية و انقسمت على نفسها مما أثر على معنويات الجنود. و قد طلب السلطان من الدول الموقعة على معاهدة باريس 1856م التوسط لدى القيصر الروسي لوقف إطلاق النار من أجل عقد صلح لكن الدول الأوروبية تباطأت في التدخل مما مكن روسيا من التقدم بنجاح.

وما زاد الأمر تعقيداً أن النصارى من رعايا الدولة انتقموا من المسلمين في المناطق التي احتلتها الجيوش،و بذلك تدفقت أعداد هائلة من اللاجئين إلى العاصمة التي لم تقم بكفايتهم من الغذاء الكساء إلا بشق الأنفس. وأضيفت سلسلة المشاكل مشكلتان جديدتان : فالأولى تمثلت في الحراك السياسي و العسكري اليوناني من اجل تحقيق توسعات إقليمية على حسابها. فقررت في شباط / فبراير 1878م أن تحتل مؤقتا الأراضي اليونانية التابع للدولة العثمانية يتدخل بريطاني؛ واف ق الباب العالي على مشروع للصلح. [2]

يقضي بإنشاء إدارة منفصلة في كل من إبيروس و تراقيا .

و تمثلت الثانية في ثورة قام بها سكان كريت النصارى مستغلين الحرب العثمانية الروسية من اجل مزيد من الامتيازات .وتدخلت بريطانيا عارضة إدخال ترتيبات إدارية وفقا لمطالب الشرعية واحتياجات الجزيرة فوافق الباب العالي .[3]

اقتربت القوات الروسية في شهر كانون الثاني /يناير 1878 من مشارف اسطنبول وأمام هول الكارثة طلب السلطان إبرام هدنة وتحققت الهدنة بين الطرفين إلى حد مقبول ,فعندما حاولت روسيا دخول العاصمة هددتها بريطانيا وأرسلت أسطولها البحري خشية احتلال الروس اسطنبول ,ولاح الخطر جسيما أمام روسيا فكانت حقا في حيرة فالحال المزرية للجيش والمالية الروسية المرتبكة لم تمكن القيصر من دخول الحرب ضد أعداء جدد .

وتم التوقيع على معاهدة سان ستيفانو في 3اذار/مارس بين الدولة العثمانية المهزومة وروسية المنتصرة التي حاولت الاحتفاظ بمكاسبها من دون الإساءة لبريطانيا .وقد فرضت هذه المعاهدة

[1] محمد علي الصلابي، مرجع سابق. ص 412.
[2] محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 432.
[3] نفس المرجع، ص 431.

إنشاء كيانات سياسية نصرانية ذات حدود جديدة كإنشاء الغاية الكبرى ووضعت قانون جديد لمرور السفن عبر المضائق روعيّ فيه تحقيق مصالحها الحربية والتجارية وفرضت على الدولة العثمانية غرامة حربية باهظة وغيرها من البنود القاسية .وقد وجدت المعاهدة معارضة شديدة من دول البلقان التي رأت أن بلغاريا الكبرى الواقعة تحت نفوذ الروسي أخلت التوازن ,وكذا بريطانيا والنمسا .[1]

وأضافت لهذه المعارضة وجهت المعاهدة ضربة قوية لسلطان عبد الحميد فكانت فاتحة سيئة لعهده.وبسب تأزم المناخ الدولي دعا بسمارك بدعوى لعقد مؤتم ر تحل فيه أوروبا مشكلاتها على حساب الدولة العثمانية وقد أيدت هذه الدعوى كل من بريطانيا والنمسا من اجل إعادة النظر في بنود اتفاقية سان ستيفانو .الآن روسيا رفضت بداية لكنها وافقت خشية حدوث حرب أخرى .

وبسب الاتفاق المسبق بين المجتمعين نجح المؤتم ر في تقسيم بلغاريا الكبرى استعادة الدولة العثمانية سواحل البحر ايجة رابطها بولاياتها بأوروبا .[2]

وغنمت النمسا ـوالمجر البوسن ة والهرسك إلى غير ذالك من القرارات المهينة . كما تعرض المؤتمر إلى الإصلاحات الداخلية المراد إجراؤها إلى تحسين أوضاع النصارى من رعاية الدولة وبخاصة الأرمن وقد التزم ت الدولة بإفادة الدول الأوروبية عن الإجراءات المتخذة للوصول إلى هذه الغاية وعلى الدول الأوروبية مراقبة ذلك .[3]

أما عن نشاطها الديني فقد تمكن سفيرها في الأستانة من تأييد حق الروس برعاية الروم ومنع الإفرنج المدعومين من فرنسا من التعرض لهم منذ 1756.[4]

فرنسا :

مع تولي سليمان الأول (القانوني) الحكم (1520 – 1566 م) جعل التعاون مع فرنسا ضد الهابسبورغ حجر الزاوية في سياسته تجاه المغرب . و حين فتح سليم الأول مصر و سوريا في 1517م جدد للفرنسيون الإمتيازات التجارية التي كان المماليك قد منحوها لهم . و على الرغم من محاولاتها للحصول على المزيد من الإمتيازات إلا أن السلطان لم يصادق عليها و هكذا فإن

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث و المعاصر(1815 -1919) دار المعرفة ،مصر،2000،ص 189.
[2] عمر عبد العزيز عمر، نفس المرجع، ص 190.
[3] محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 445.
[4] فاطمة الطراونة، مرجع سابق،ص09.

الإمتيازات الأولى الموثقة بين الجانبين تعود إلى 18 أكتوبر 1569 م. و هكذا كانت فرنسا أول مملكة غربية تحصل على امتيازات تشمل كل الإمبراطورية العثمانية و فيما بعد أصبحت هذه الإمتيازات نموذجا لاتفاقيات مماثلة مع إنجلترا و غيرها . [1]

فقامت إثر ذالك بتعيين قناصل لها في إرجاء الخلافة العثمانية كما في اسطنبول و الإسكندرية و بيروت و طرابلس الشام . و أخذت السفن الفرنسية المتجهة إلى الشرق الأوسط تحصل الورق و الأدوات المعدنية من ألمانيا بينما تعود بالصوف و القطن و الخيوط و الأقمشة القطنية و البسط من الأناضول و التوابل و الحرير و خلاصة العطور و الأدوية من حلب و دمشق . [2]

و مع مطلع القرن 17 م حتى كانت هناك ألف سفينة فرنسية تشارك في تجارة المشرق ما يمثل نصف مجمل التجارة الفرنسية آنذاك، و أخذ بعض التجار الأوربيين كالإنجليز في التجارة تحت العلم الفرنسي كذلك، فكما يبدو أن فرنسا فد سبقت بريطانيا في التطلع إلى ميراث الدولة العثمانية. فسعت بمختلف الوسائل للتعجيل بالقضاء عليها ؛ وقد كان لها دور تخريبي في ساحل الشام خلال القرن 19م ، فعبر امتيازاتها تمكنت من إرسال بعثات دينية عدة و بواسطتها تدخلت في الشؤون الداخلية للدولة؛ فازداد بذلك ضعفها إثر تحريض الأقليات على الإنفصال . فقد برزت قضية المذابح بين المسلمين و النصارى في التاريخ العثماني و شكلت ثغرة استشرى منها التدخل الأجنبي الذي لم يمكن الدولة من التفرغ للإصلاح و محاولة لملمت شتات ولاياتها.

فالموارنة المسيحيون و الدروز المسلمون كانوا يتقاسمون النفوذ بجبل لبنان و كثيراً ما وقعت اشتباكات دائمة بين الطرفين على الرغم من محاولة السلطنة بسط نفوذها عبر نظام القائمقائمية. [3]

و لما شهد الدروز منذ أوائل القرن التاسع عشر تقهقراً سياسياً و اقتصادياً أخذ ينموا إضافة لتغلغل اقتصادي فرنسي نشط في الوسط الماروني و نشوء علاقات سياسية و ثقافية بين الطرفين إضافة لتأجيج الإختلافات و الفروقات. و بهذه الطريقة أصبح نشوب الفتنة الطائفية بلبنان أمراً

[1] خليل اينالجيك، مرجع سابق، ص 213.
[2] نفس المرجع ، ص 214.
[3] موقف بني المرجة، صحوة الرجل المريض، مطابع دار الكويت للصحافة ، الكويت،1984،ص 303.

مؤكداً. و منذ ماي 1860م طلب أهالي المناطق المختلطة حماية القوات العثمانية ضد أصحاب الإقطاع الدروز. [1]

و في جويلية 1860م دعا خورشيد باشا والي صيدا زعماء النصارى و الدروز ببيروت من أجل عقد صلح على أن لا يطلب أي من الفريقين أية تعويضات. كما اتفقوا على إلغاء نظام القائمقائمية على اعتبار أنه سبب البلاء و بدلا منه يعود الحكم العثماني المباشر.

و هكذا تمت المصالحة بين الدروز و الموارنة دون علم القناصل؛ لكن حدثت لاحقاً مجزرة بدمشق راح ضحيتها 5500مسيحي دون أن يحرك والي دمشق أحمد باشا ساكنا فظن العوام أن الأوامر وصلت من الباب العالي بإبادة النصارى حيث وجدوا.

فاجتمع السفراء الأوروبيين في الأستانة مع الصدر الأعظم لاتخاذ تدابير قاسية و سريعة لإنهاء الفتنة الطائفية بالجبل . ثم قرر نابليون الثالث (1852- 1870) أن يعمل بسرعة و يتدخل بشؤون لبنان و أرسل الحملة على بيروت في أوت 1860م في محاولة لبسط نفوذ فرنسي عسكري، كما أرسلت أوربا لجنة تحقيق. ووقف فؤاد باشا و ممثل بريطانيا أمام كل محاولة لنابليون لتدعيم النفوذ الفرنسي بسورية. و في جوان 1861أجمع كل الأعضاء على إقرار نظام للبنان تم التوقيع عليه بالأستانة عرف بالقانون الأساسي. [2]

وقبل التوقيع غادرت الحملة الفرنسية لبنان، و أصبح لبنان سنجقاً عثمانياً له استقلاله الداخلي على أن تضمنه الدول الموقعة على نص هذا النظام.

و مما سيتشف من هذه الأحداث أن التدخل الأوروبي سابقة بالغة الأهمية لأنه انتقل من حيز النصح و الترغيب إلى حيز الفعل و التطبيق العملي.كما حالت الجبهة العثمانية- البريطانية بين فرنسا و توسيع حدود الجبل، فتمكنت من الإحتفاظ بمتصرفية ممتازة كجبل لبنان ومنعت النفوذ الفرنسي من أن يرسخ نفسه بتواجد عسكري، و تجدر الإشارة إلى أن هذه الوقائع نبهت لسوء الإدارة بالولايات الجديد 1864م. [3]

ولم تغفل فرنسا استغلال الجانب الديني من امتيازاتها، فامتياز حماية الكاثوليك في القدس منذ 1740م أثار مشاكل بين الكاثوليك و باقي الطوائف. على الرغم من أن الدولة العثمانية مع الروم

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، دار النهضة العربية، بيروت، [د،ت]، ص 374.
[2] نفس المرجع، ص 373.
[3] عمر عبد عزيز عمر، مرجع سابق، ص 381.

الأرثوذكس باعتبارهم الأصل و أنهم الموالون للمسلمين منذ العصور الإسلامية الأولى على عكس الكاثوليك الذين اعتبرتهم أتبع لأوروبا.

وكانت الأماكن المقدسة بفلسطين من كنائس و أديرة مصدر الصراع ومحلاً للنزاع و الشكوى للسلطان للتدخل و من جهة أخرى تجلى ذلك بحصول الكاثوليك على الأحقية في الأماكن المقدسة ببيت لحم على حسبا الروم الذين تمتعوا بذلك من قبلهم ، فبروز فرنسا كقوة ساهم في تزايد الصراع بين الطوائف و الدول الراعية لها منذ 1740م .[1]

وقد أثارت هذه الإمتيازات كلها ثائرة المسلمين اتجاه حملة نابليون 1798م ممثلاً فرنسا الحامية للإفرنج الكاثوليك، ولما انشغلت الدولة بالحرب مع روسيا مما شجع فرنسا على محاولة ضم مسار القدس و فد واجه والي دمشق الأمر بإرسال الأسلحة لحاميات القدس للدفاع عنها، وخوفاً من احتجاج الدول الأوربية عدلت فرنسا عن الدخول إلى القدس.

وما إن حلت سنة 1830م حتى قامت فرنسا باحتلال الجزائر في خطوة جريئة مستغلة تردي الأوضاع الداخلية للإيالة من سوء للإدارة و تحطم للأسطول.و أزمة اقتصادية من جهة و اشتغال الدولة العثمانية بالصراع مع محمد علي بعد موقعة قونية و عقد معاهدة اونكيار سكلسي[2] بتدخل روسي سنة 1833م.

المبحث الثاني: سياسة الدول المتأخرة في الحصول على امتيازات:

ألمانيا:

كان الإقتصاد الألماني في حاجة إلى المواد الأولية و المنافذ التجارية و متطلبات الواقع السياسي يخلق واقع حيث نكون فيه ألمانيا الحكم بين فرنسا و بريطانيا بالشكل الذي يزيد من وزن ألمانيا أوروبيا. و لكن عندما دخلت ألمانيا المغامرة الإستعمارية سنة 1884م كانت تنقصها الأداة التي صنعت قوة بريطانيا و فرنسا و هي الخبرة البحرية فهي ليست بتاريخ بحري عريق و كذا أنها أكملت وحدتها السياسية حديثاً في 1871م . كما أن بسمارك خاف من دخول حلبة السبق الاستعماري فحسب رأيه بمكن أن تتشتت القوة الألمانية لكن ضغط رجال المال و الفكر و رجال

[1] فاطمة الطراونة، مرجع سابق، ص29.

[2] اونكيار سكلسي (خونكار اسكلة سي)، بقرية قريبة من استانبول عقد حلف دفاعي بين الدولة العثمانية و روسيا ،وإن نجحت لتمكن قيصر روسيا من التحكم بالمضائق و البلقان لذا سارعت بريطانيا و فرنسا للاحتجاج لدى الباب العالي سنة 1833م، انظر (عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث،مرجع سابق،ص98.)

الدين كذا ظهور حركات تؤيد الحركة التوسعية ستغير رأيه، خصوصاً أن بعض المستشفين البارزين كرولفس قال في 1877م: " أليس علينا أن ندين أنفسنا على الوقوف بدون رد فعل أمام التوسع الإنجليزي في إفريقيا الوسطى." وكذا أراد بسمارك لجانب المنافع الإقتصادية شغل فرنسا عن قضية الألزاس و اللورين التي انتزعتهما ألمانيا منها. و هكذا انطلقت ألمانيا غليوم و بسمارك تبحث عن دورها في السياسة الدولية . مما ادى إلى تحالفها مع السلطنة العثمانية و فوزها ببعض العقود و المنافع الإقتصادية مقبل تعزيزها للقوات العسكرية العثمانية و شدها لأزر الخلافة العثمانية مقابل تكالب الفرنسي و البريطاني،فكان التعاون العسكري أول ثمرات هذا التحالف فقد أرسل السلطان بعض الضباط لمدارس ألمانية عسكرية كما قام باستيراد الأسلحة و الذخائر منها.[1]

و لعل أهم المشروعات الإقتصادية الهامة هي إنشاء طريق للمواصلات الحديدية بين أوربا و الشرق الأوسط حتى الخليج العربي. وقد أطلق على هذا المشروع اسم سكة الحديد بغداد.

وقد اهتم القيصر الألماني جداً بالمشروع فزار الدولة العثمانية حصل خلالها على الإمتياز المنشود الموقع في آذار/مارس 1903م. [2]

وقد هدف السلطان عبد الحميد الثاني من وراء منح هذا الإمتياز أن ينفتح على البلد بعد الوثبة التي جعلته من الدول الكبرى ليستفيد من الخبرات و رؤوس الأموال من أجل أن يدرك الجميع أن الدولة العثمانية جادة في تبني الإصلاحات و السياسات الإنتاجية. إذ أن هذا المشروع يعود بفوائد جمة على الدولة سياسياً و اقتصادياً و عسكرياً.

أما ألمانيا فقد أرادت الزحف باتجاه الشرق لاستغلال الوارد الطبيعية مثل البترول الذي اكتشف بالموصل .و بذلك يتفوق النفوذ الألماني على أية دولة أخرى . [3]

ايطاليا:

[1] أحمد عباد، :المستكشفون الأوروبيون بغرب إفريقيا بين الإستكشاف و الإستعمار من نهاية القرن 18م إلى نهاية القرن 19م، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الإفريقي الحديث و المعاصر، غير منشورة،إشراف: عبد الكريم بوصفصاف،قسم التاريخ،كلية العلوم لإنسانية و العلوم الإجتماعية ،جامعة أدرار، 2011،ص132.

[2] محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 465.

[3] موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص 247.

في مؤتمر برلين تجاهلت الدول الأوروبية مطالب ايطاليا على الرغم من كونها عاملا مهما لإنجاح الوحدة الألمانية 1870 ولولا ايطاليا لاتحدت فرنسا و النمسا و المجر ضد بسمارك 1870، لكن في المؤتمر تمت معاملتها على نفس مستوى الدولة العثمانية . و لما حصل ا اقتسام الغنائم بين الدول الكبرى عادت ايطاليا من المؤتمر خالية الوفاض فاتجهت ناحية الساحل الإفريقي و نازعت أي مشروع فرنسي هناك نزاعاً شديداً . فادعت ايطاليا أن التواجد الفرنسي بتونس يهددها و لكن هذه الأخيرة لا تريد أي دولة أوربية بالقرب من الجزائر. [1]

ونتيجة لخوف فرنسا أن يسبقها أحد لتونس قامت بفرض الحماية في 1881م فتوترت العلاقات الإيطالية الفرنسية و نظراً لحساسية الوضع الدولي آنذاك بسبب مناطق النفوذ أبرمت معاهدة ألمانية- ايطالية 1887م و نصت بإحدى موادها أنه يحق لإيطالية القيام بحركات بشمال إفريقيا أو أن تتخذ إجراءات عسكرية بالأراضي الفرنسية بأوربا في حال بسط للسيطرة أو الحماية الفرنسية أو مراكش و كذا أبرمت معاهدة مع النمسا بنفس السنة و بذلك رفعت مكانتها الدولية . [2]

وأثناء 1882 -1896م تزايد النشاط التبشيري الإيطالي في ولاية طرابلس ز وقد قامت البعثات الإيطالية بالتجسس على أوضاع ليبيا الإقتصادية و الزراعية، كما أتيحت لنم فرصة الإطلاع على عادات شعبها كما تمكنت من إنشاء بنك في طرابلس و قامت في 1900م بإنشاء شركة"روباثنيو" للملاحة بمد خط بحري و في ديسمبر من نفس السنة أبرمت مع فرنسا اتفاق متبادل عن عدم التدخل بين الدولتين وتم التأكيد عليه مجدداً في 1902م فأعلنت إيطاليا عن عدم وجود أي مطامع استعمارية لها بمراكش ، و كذلك فعلت فرنسا بالنسبة لليبيا. [3]

استغلت ايطاليا الأزمة المراكشية لتنذر الدولة العثمانية بأنها ستتدخل عسكرياً لإنهاء الفوضى بليبيا من أجل حماية مصالحها و قناصلها ، و رفضت إجراء أية تسويات مع السلطنة. وزعمت أن الرد العثماني قد تأخر فأعلنت الحرب علماً بأن بوارجها الحربية فد حاصرت شواطئ طرابلس قبلاً. وعلى الرغم من ضآلة للولاية ، إلا أنها تبنت الدفاع. [4]

---

[1] عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوربا الحديث(مرجع سابق) ، ص 216.

[2] نفس المرجع، ص 200.

[3] محمد علي الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية بليبيا، ج1، ط1، مكتبة التابعين ، القاهرة ، 2001،ص 293.

[4] نفسه.

و على الصعيد العثماني فلم تتمكن الدولة من إنجاد الولاية لأنها وقعت في ظروف حرجة جداً داخلياً فالإنقلاب على السلطان في 1908م من طرف جمعية الإتحاد و الترقي زيادة على الظروف المالية المزرية قد ترك ليبيا وحدها لتجابه هذا الخطر المدعوم بالصمت الأوروبي.
أما قبلاً فقد كان تمسك السلطان عبد الحميد بالإيالة شديداً رغم الإمتيازات الممنوحة للإيطاليين فمثلاً الوالي رجب باشا(1904 -1908) كان شديد الوطأة على السياسة الإيطالية بالمنطقة ووضع العراقيل أمام التغلغل الإيطالي لكن تمكن إيطاليا من سحب الأسلحة من طرابلس الغرب إلى استانبول تحت غطاء الإصلاح و سلامة الأجانب قد ترك ليبيا فريسة سهلة للعدوان الخارجي .[1]
و بحلول 1911م فقدت الدولة العثمانية نهائياً آخر ممتلكاتها بإفريقيا الشمالية.

على الرغم من أن السلطان استغل أي موقف كالتحالف مع ألمانيا، أو إعلان الدستور أو إعلان الدستور أو غيرها من ما أتيح له ليحافظ على سلامة الدولة أطول فترة .
إلا أن كثرة الذرائع كالدين المستحق،أو حماية كرامة النصارى التي كانت محفوظة أصلاً بسبب كون الدولة الإسلامية تحول دون التدخل الخارجي الذي أصبح المتحكم في مصير الدولة العثمانية ،مما فتح المجال واسعاً أمام الإستعمار و الإجهاز على الدولة .

[1] نفس المرجع، ج1، ص 300.

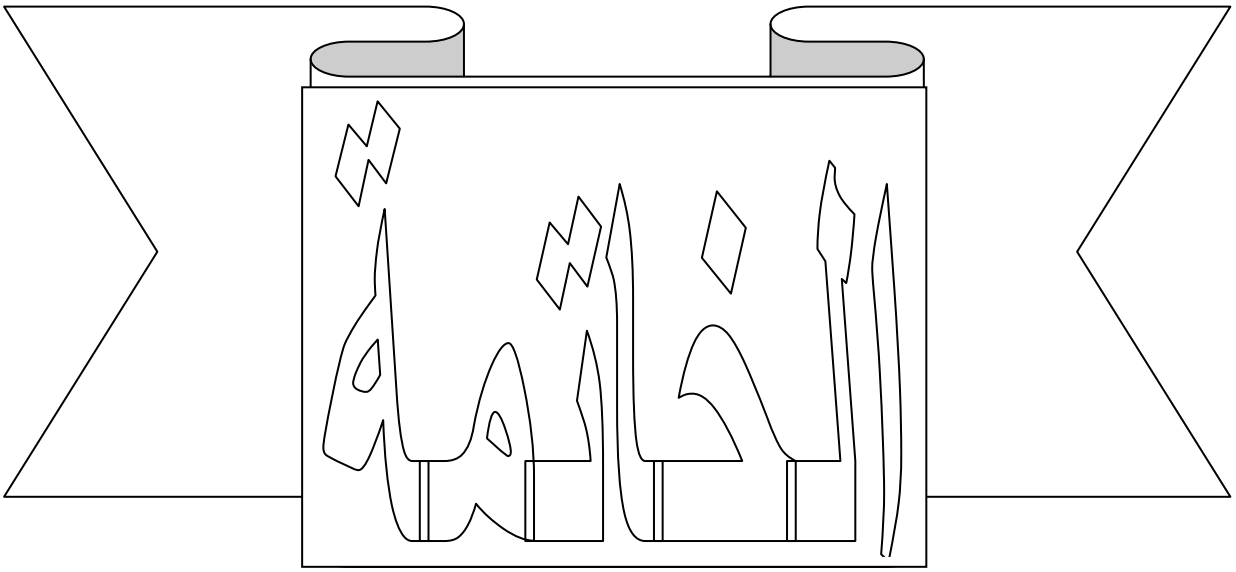
الخاتمة

لم يدرك العثمانيون أنهم يقودون سفينة آيلة للغرق إل بعد فوات الأوان إذ كانت التصدعات أعمق مما يمكن أن يتم رأبها جميعا، و توالت الأزمات الداخلية و الخارجية لتزيد السيئ سوءاً و لولا تضارب المصالح بين الأوروبيين لانهارت الدولة العثمانية قبل1914م بوقت طويل .

على الرغم من ظهور حركات إصلاحية دينية حاولت تغيير الأوضاع السائدة إلى الأحسن على الرغم من أن ذلك كان صعباً جدًا نظرًا للظروف المحيطة بالبلاد العربية داخلياً و خارجياً ولا ننسى أن أوربا لم تدخر جهدا في زيادة الحمل على الدولة على جميع الأصعدة.

وقد كان من الإجحاف المنافي لطبيعة الأشياء أن ينتظر أحد من حكم السلطان عبد الحميد دون انهيار الخلافة . لأن التأثير الذي يحدثه الأشخاص و رجال الدولة ينحصر في جانب واحد ، فالدولة بعد مضي ثلاثون عاماً أو يزيد على اعتلائه العرش كانت من حيث البناء في حالة لا تقبل الإصلاح . إذ ضعف جهازها الإداري و تهاوى . و تمزقت أوصالها خلال تلك الفترة مع فقدان العديد من الأراضي فعلياً كان أو قانونياً تحت شعار الإستقلال الداخلي.

و كانت الإمتيازات و الشركات تتقاسم الثروة في الأراضي الباقية ، أما الدولة ـ فبدخلها القومي الضعيف و رعاياها الأثرياء من غير المسلمين الذين يتطلعون بفارغ الصبر لانهيارهاـ كانت تعيش حياة ميؤوس منها و سيطرة على رجالها فكرة جامدة ترى الحل في أن البرلمان و الحكم الدستوري هو الدواء.

وتم الكشف عن ضحالة فكرية في بحثها عن مخرج يعقد آمال الخلاص على خدعة الإتجاه العثماني، أو الإتجاه الإسلامي أو الإتجاه التركي ، فأبرزت للعيان مدى عجزها.

وفي الأخير أتمنى أنني وفقت إلى إماطة اللثام و لو قليلاً عن بعض الحقائق المهمة مثل أن ما حصل للدولة العثمانية آنذاك يتكرر في وقتنا الراهن لكن بين الولايات المتحدة الأمريكية و العالم الإسلامي ككل لكن بدل استعمال كلمة الإصلاح أو التحديث يستعمل كلمة العولمة و كالدول الأوروبية لم يكن يهمها إصلاح المهترئ بقدر ما يهمها الحصول على مكاسب ، فكذا الولايات المتحدة الأمريكية لا تهمها إقامة الديمقراطية و العدل في ظل نظام فاسد هي أنشأته و تدعمه .

ومنه يمكن القول لايصح اصلاح الفاسد إلا باجتثاثه .و إقامة أنظمة أصلح منه و إن لم يشمل التغيير أسس النظام و مقوماته الحضارية و الثقافية وبأبعاده و خصوصياته الإجتماعية .

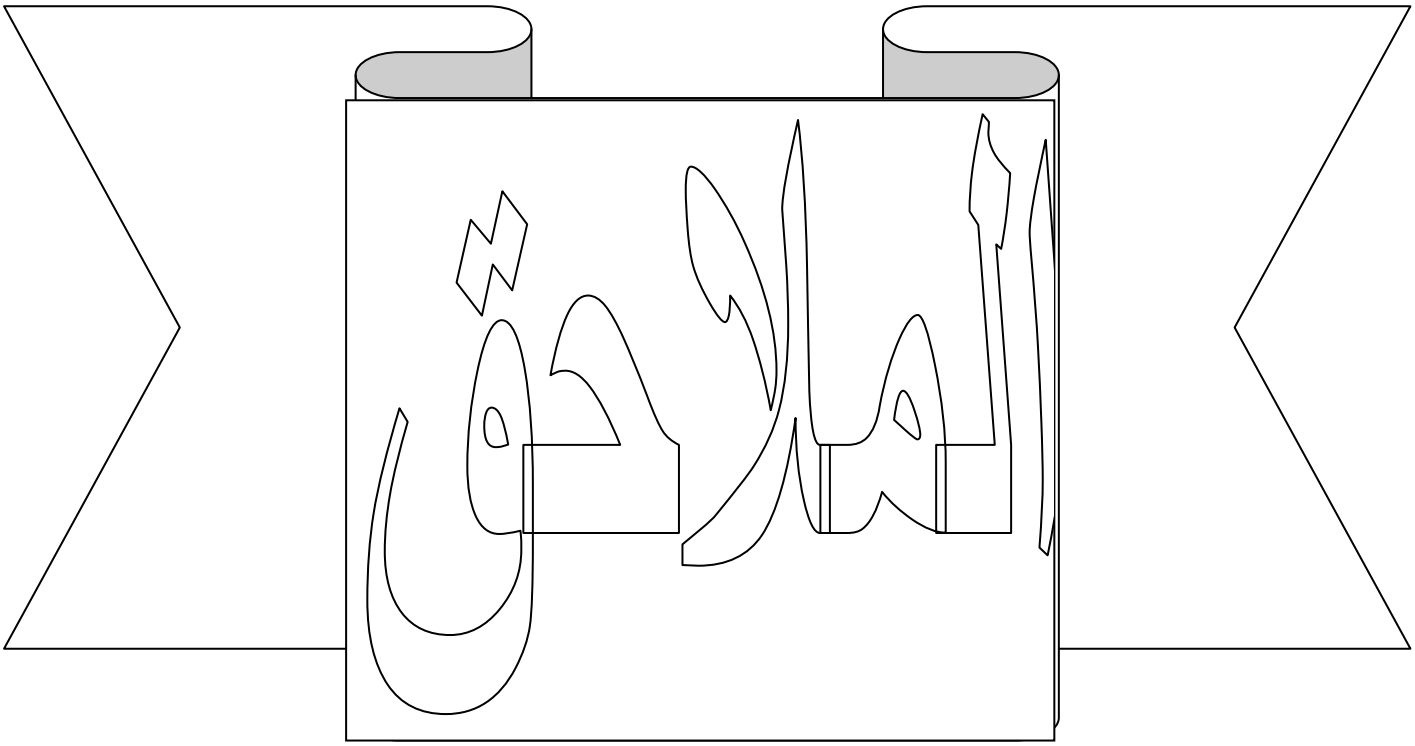
الحارق

شكل الهيكل الإداري العثماني للولايات .

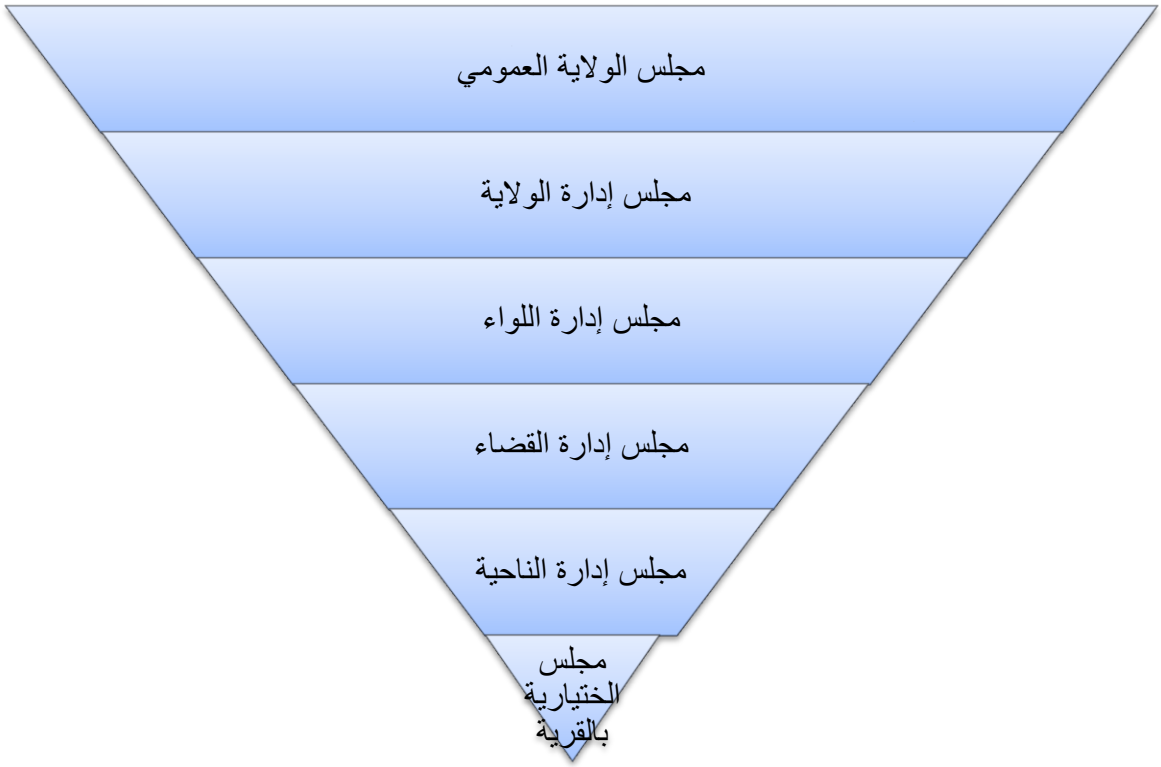

شكل

المجالس الإستشارية. (ملحق 01).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأقليات في المجتمع العثماني

لكي ندرك خطورة هذا الاتجاه الاستعماري يكفي أن ننظر الى تركيبة المجتمع العثماني فمن نفس الزاوية الغربية التي نراه يتألف من عدد كبير من الأقليات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

* الاكثرية السنية التركية (الطورانية) الناطقة
* الأكثرية العربية الناطقة بالعربية.
* الاقليات الاسلامية السنية ــ غير العربية والتركية
* (الاكراد) (القوقازيون) (الشركس والشوشان) (البربر) (الداغستان)
* **الاقليات العربية الاسلامية غير السنية:**

ــ الشيعة
ــ النصيريون (العلويون)
ــ الاسماعيليون
ــ الدروز

---

* المسيحيون:

ــ روم ارثوذكس
ــ روم كاثوليك
ــ سريان ارثوذكس (يعاقبة)
ــ الاقباط الارثوذكس
ــ النساطرة (الاشوريون)
ــ الموارنة
ــ الروم الكاثوليك
ــ الاقباط الكاثوليك
ــ الكلدان الكاثوليك
ــ البروتستانت: الانجليكان
ــ الكاثوليك اللاتين

---

* اليهود والطوائف الموسوية:

ــ الربانيون
ــ شهود يهوه
ــ السامريون
ــ السبتيون
ــ الدونمة

موفق بني المرجة،صحوة الرجل المريض، مؤسسة صقر الخليج للنشر، الكويت،1984 ، ص206.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* أديان اخرى :

ـ يزيديون
ـ مندائيون
ـ شباك
ـ بهائيون
ـ قاديانيون
ـ بهرة

---

* الأقليات غير السنة غير الناطقة بالعربية :

* الناطقة باللغة الفارسية :

ـ شيعة .
ـ بهائيون
ـ يهود

---

* الناطقة باللغة الكردية :

ـ يزيديون
ـ شباك
ـ شيعة
ـ سريان ارثوذكس
ـ سريان كاثوليك
ـ يهود

---

* الناطقة باللغة السريانية :

ـ النساطرة (الاشوريون)
ـ الكلدان الكاثوليك
ـ السريان الارثوذكس (يعاقبة)
ـ السريان الكاثوليك.

---

* الناطقة باللغة الارمنية :

ـ الارمن الارثوذكس (الغريغوريون)
ـ الارمن البروتستانت

---

* الناطقة باللغة العبرية :

ـ اليهود

موفق بني المرجة ، مرجع سابق،ص207.

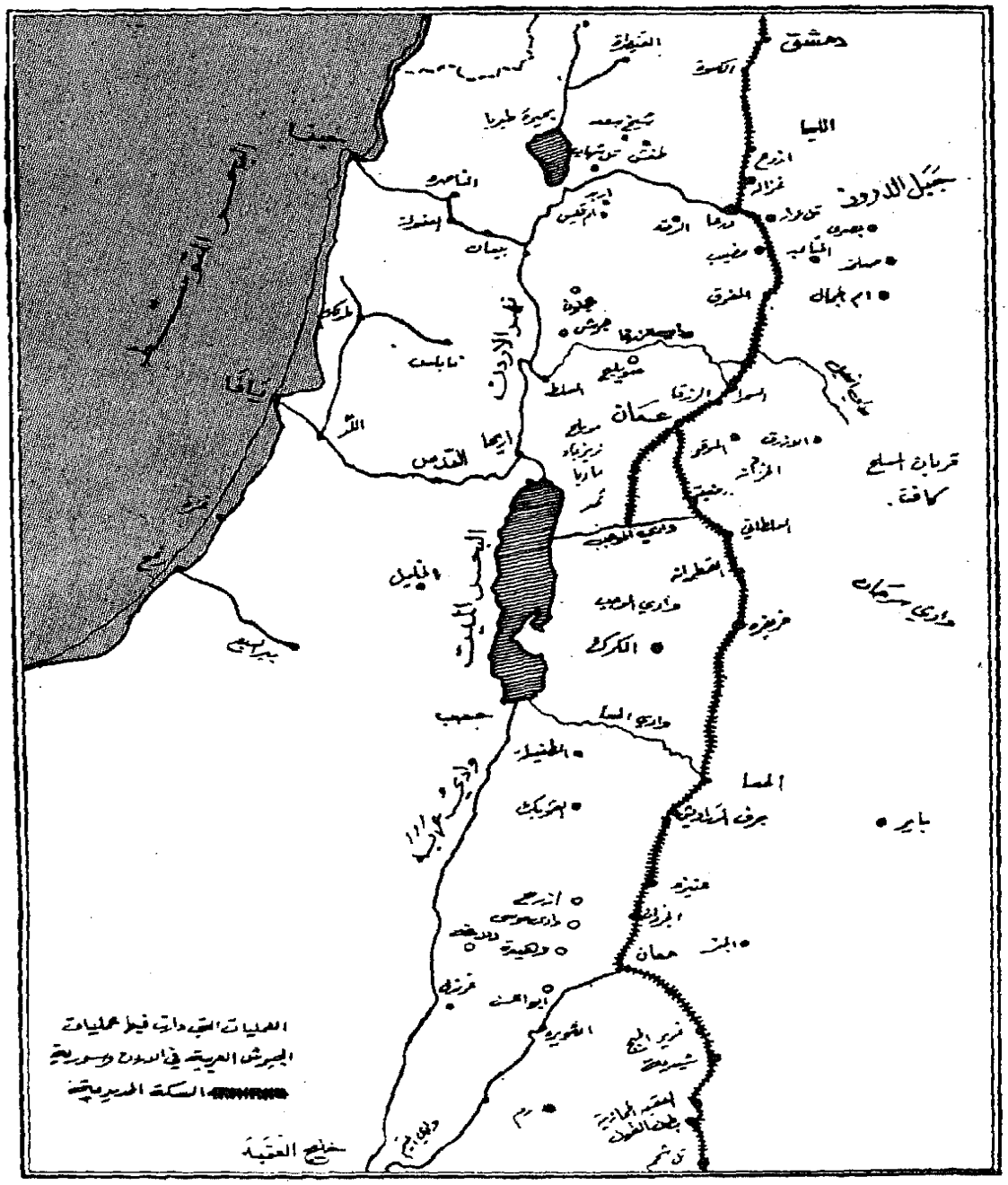

خريطة سكة حديد الخط الحجازي (من دمشق إلى المدينة المنورة)

موقف المرجة ، مرجع سابق، ص 131.

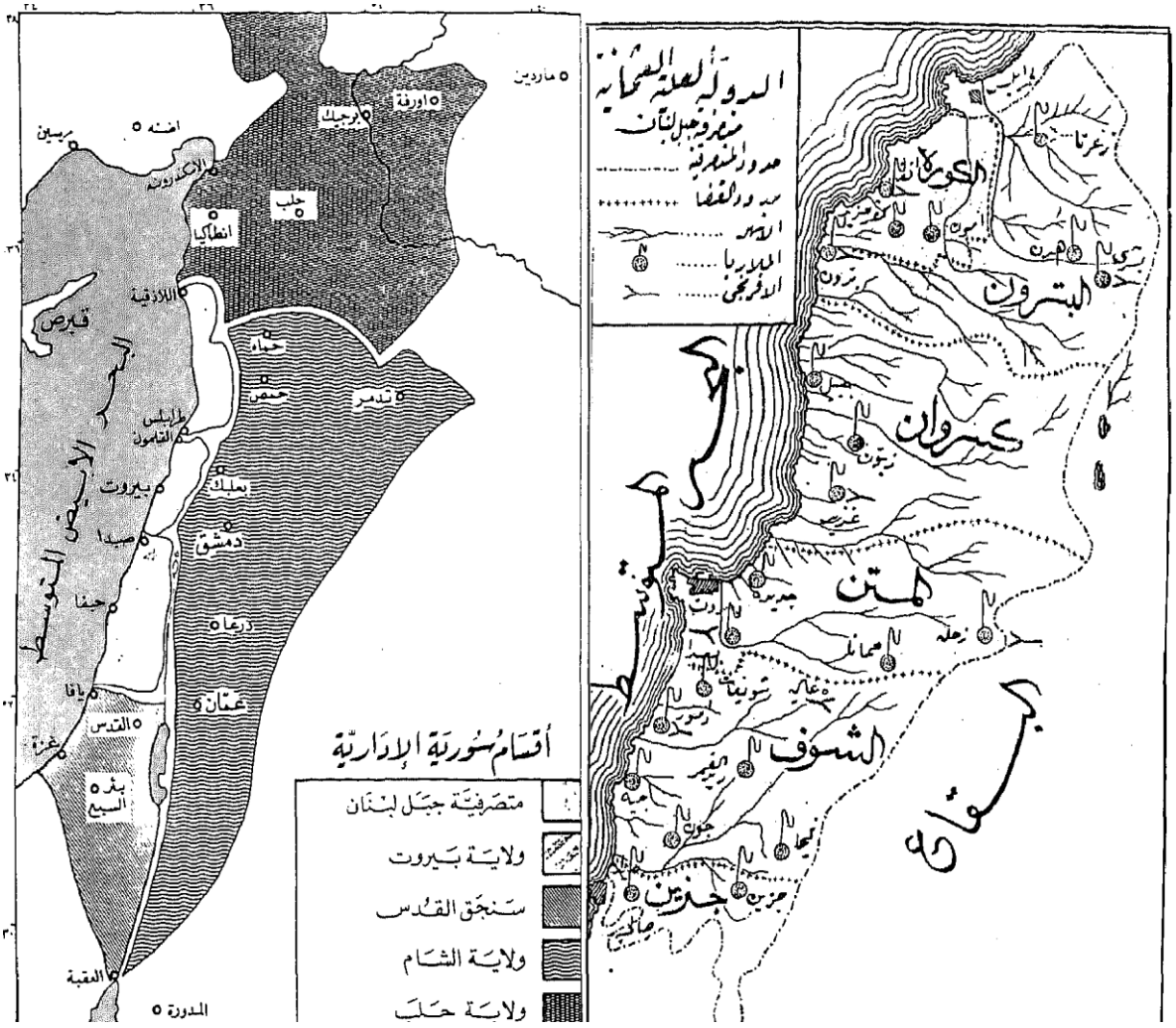

موفق بني المرجة، مرجع سابق، ص357.

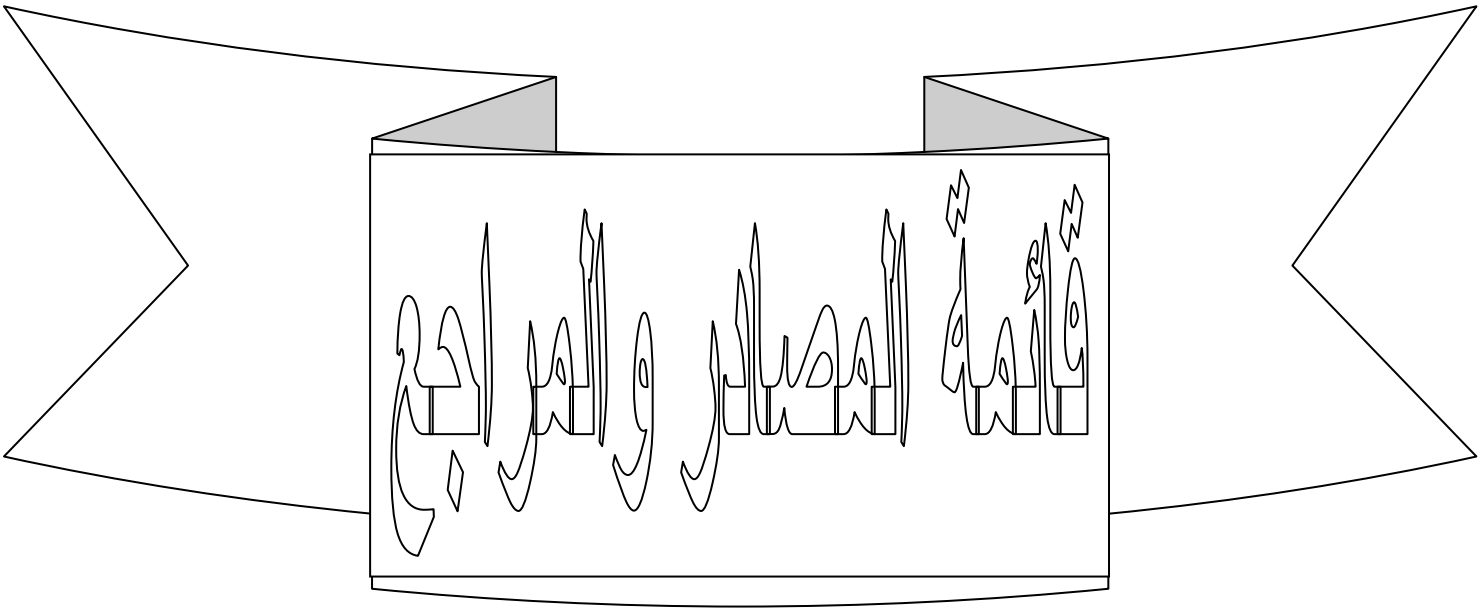
قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

القواميس:

1ــ قاموس المرشد(عربي ــ عربي): منشورات المرشد الجزائرية،الجزائر، 2005م.

2 ــ والتر(وبستر): قاموس المصطلحات السياسية ، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع، [د،ت]، مصر.

المصادر و المراجع:

1ــ أرسلان(شكيب): تاريخ الدولة العثمانية،ط1، دار ابن كثير،[د،م]،2001م.

2ــ أنيس(محمد): الدولة العثمانية و المشرق العربي(1904 ــ1914)،القاهرة، [د،ت].

3ــ إحسان أوغلو(إكمال الدين): الدولة العثمانية تاريخ و حضارة،ج2،تعريب:صالح سعداوي،منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول،1999م.

4ــ أورطايلي(إلبر): التحديث و الحداثة في الخلافة العثمانية في القرن 19م، ط1،ترجمة:عبد القادر عبدلي،شركة قدمس للنشر،2007م.

5ــ إينالجيك(خليل):تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار،ط1،دار المدار الإسلامي،بيروت، 2002م.

6ــ بني المرجة(موفق): صحوة الرجل المريض،مطابع دار الكويت للصحافة،الكويت،1984م.

بيومي(زكرياء سليمان): قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية،ط1،دار العلم و الإيمان،2007م.

7ــ التليلي(العجيلي): صدى الجامعة الإسلامية في المغرب العربي(1876 ــ 1918)، دار الجنوب للنشر،تونس،2005م.

8ــ الجمل(شوقي عطا الله): تاريخ العالم العربي الحديث و المعاصر، المكتب المصري للمطبوعات، مصر، 2007م.

9ــ الجميل(سيار): تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن، 1997م.

10ــ المحافظة(علي): الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة(1897 ــ 1917)،الأهلية للنشر و التوزيع،بيروت،1987.

11ــ الحرارشة(ونس): فكر محمد كرد علي و دعوة الإصلاحية، دار اليازوري العلمية، الأردن،2006م.

سوادي(هشام هاشم): تاريخ العرب الحديث(1516 ــ1918)، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان،2009م.

12ــ صابان(سهيل): المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.

13ــ صباغ(ليلى)، في الولايات و مصادر وثائقها في العهد العثماني، تونس،1984م.

14ــ الصلابي(علي محمد): الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، شركة الأمل للتجهيزات الفنية،مصر، 2001م.

15ــ الصلابي(علي محمد):الثمار الزكية للحركة السنوسية بليبيا، ج1،ط1، مكتبة التابعين، القاهرة،2001م.

16ــ طقوش(محمد سهيل): تاريخ العثمانيين منذ قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة،ط2، دار النفائس،2008م.

17ــ عمر(عبد العزيز عمر):تاريخ المشرق العربي، دار النهضة العربية، بيروت، [د،ت].

18ــ عمر(عبد العزيز عمر):تاريخ أوربا الحديث و المعاصر(1815 ــ1919)، دار المعرفة، مصر، 2000م.

19ــ عودة(محمد عبد الله):تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر و التوزيع، الأردن، 1984م.

20ــ غالي(غربي): دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي(1288 ــ 1916)، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 2001م.

21ــ نوار(عبد العزيز سليمان)، تاريخ العراق الحديث، القاهرة، [د، م]، 1968م.

22ــ الزاوي(الطاهر أحمد): عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا،ط2، دار المدار الإسلامي، بيروت،2004م.

المذكرات العلمية:

1ــ الطراونة(فاطمة سليم حماد)، الدولة العثمانية و سياستها الدينية اتجاه الطوائف النصرانية من خلال محكمة القدس الشرعية(1897 ــ1914)، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1987م.

2ــ بعيو(عائشة):التنظيمات العثمانية وآثارها على الولايات العربية الشام و العراق نموذجاً(1839 ــ1876)، ، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث،غيرمنشورة، إشراف:الغالي غربي،قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة الجزائر،2008 ــ2009م.

3ــ عباد(أحمد): المستكشفون الأوروبيون بغرب إفريقيا بين الإستكشاف و الإستعمار من نهاية القرن 18م إلى نهاية القرن 19م، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الإفريقي الحديث و المعاصر، غير منشورة، إشراف: عبد الكرم بوصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإجتماعية، جامعة أدرار،2011.

4ــ سنو(عبد الرؤوف): الإصلاحات العثمانية و الإصلاحات الأمريكية:مقاربة سياسية ثقافية، جريدة النهار 2004/7/19م.

الموسوعات:

1ــ الكيالي(عبد الوهاب): موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، [د، ت].

المواقع الإلكترونية:

1ــ تاج السر(عثمان): الثورة السودانية 1880م، الحوار المتمدن، العدد 2443،.

2ــ ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

شكر و عرفان.

إهداء.

مقدمة .....أ.

الفصل الأول:الإصلاح في الدولة العثمانية خلال القرن 19م.

المبحث الأول:الإصلاح وأسبابه.....ص06.

المبحث الثاني: مظاهر الإصلاح.....ص09.

المبحث الثالث: بعض مظاهر الإصلاح في العاصمة و بعض الإيالات العثمانية.....ص18.

المبحث الرابع: بعض الخلفاء المصلحين .....ص21.

الفصل الثاني:حركات الإصلاح في الدولة العثمانية خلال القرن 19م.

المبحث الأول :بعض حركات الإصلاح في الشرق العربي..... ص27.

المبحث الثاني:بعض حركات الإصلاح في المغرب العربي.....ص37.

الفصل الثالث: موقف الدول الأوروبية من الإصلاح في الدولة العثمانية:
مدخل: دور الإستثمارات الأجنبية في الدولة العثمانية إبان القرن 19م.

المبحث الأول: سياسة الدول السباقة للحصول على الإمتيازات.....ص46.

المبحث الثالث: سياسة الدول المتأخرة في الحصول على امتيازات.....ص56.

الخاتمة.....ص60.

الملاحق.....ص64.

قائمة المصادر و المرجع.....ص67 .